Journal of Human and Social Sciences (JHSS) • Vol 9, Issue 7 (2025) • P: 37 - 17
https://journals.ajsrp.com/index.php/jhss
ISSN: 2522-3380 (Online) • ISSN: 2522-3380 (Print)

Children in Difficult Situations: Between the Challenges of Reality and the Possibilities of Integration Sociological study/Guercif -Morocco-

Dr. Abdelillah Douz
Faculty of Arts & Social Sciences | Sidi Mohamed Ben Abdallah University | Morocco

Received: 17/05/2025
Revised: 29/05/2025
Accepted: 22/06/2025
Published: 30/07/2025

* Corresponding author: douz.abdelillah.1988@gmail.com

Citation: Douz, A. (2025). Children in Difficult Situations: Between the Challenges of Reality and the Possibilities of Integration Sociological study/Guercif -Morocco-. *Journal of Humanities & Social Sciences, 9*(7), 17 – 37. https://doi.org/10.26389/AJSRP.L190525

2025 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: This study aims to highlight the reality of children in difficult situations within the societal framework. This problematic has become a concern and a focus that has emerged amid the social transformations that Morocco has experienced since the beginning of the third millennium. The study seeks to explore the social, economic, educational, and cultural factors contributing to the spread of children in difficult situations. Given the importance and centrality of the child within the broader components of society, and its relevance to the reform and development of the social system hence, the topic is of great importance as it relates to the upbringing of future generations. As such, the issue of children in difficult situations is now at the core of public debate, aiming to strengthen integrated public policies to protect childhood. The study employs a descriptive-analytical approach, which led to several results, the most significant of which is despite growing attention to child-related issues, this category continues to face difficult social, economic, and cultural conditions due to their belonging to poor families. As a result, the study recommends several suggestions, primarily focusing on the importance of investing in the family as a cohesive unit and involving it in all steps and measures taken to protect childhood, while establishing continuous communication channels with it in this regard, as it is a fundamental and indispensable step.

Keywords: Child, children in difficult situations, integration.

الأطفال في وضعية صعبة بين تحديات الو اقع وإمكانيات الادماج
دراسة سوسيولوجية /مدينة جرسيف -المغرب-

الدكتور/ عبد الإله دوز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية | جامعة سيدي محمد بن عبد الله | المغرب

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز واقع الأطفال في وضعية صعبة داخل المنظومة المجتمعية، هذه الإشكالية التي أصبحت تعتبر هاجسا وانشغالا فرض نفسه في خضم التحولات المجتمعية التي عرفها المغرب منذ بداية الألفية الثالثة. حيث تهدف هذه الدراسة إلى محاولة البحث في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية لانتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة. نظرا لأهمية ومركزية مكون الطفل ضمن باقي مكونات المجتمع، وأيضا لراهنيته بالنسبة لمشروع إصلاح وتطوير النسق المجتمعي، كما تأتي أهمية الموضوع من كونه شأنا مجتمعيا يهم تنشئة الأجيال الصاعدة، ولعل كل ذلك جعل اليوم موضوع الأطفال في وضعية صعبة في صلب النقاش العمومي، من أجل تعزيز السياسات العمومية المندمجة لحماية الطفولة. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي مكن من الوصول إلى مجموعة من النتائج أهمها، أنه رغم الاهتمام المتزايد بقضايا الطفولة مازلت هذه الفئة تعايش ظروفا اجتماعية واقتصادية وثقافية صعبة، بحكم انتمائهم إلى أسر فقيرة، لذلك أوصت الدراسة بعدة توصيات يمكن إجمالها في ضرورة العمل ما أمكن على الاستثمار في الأسرة كوحدة متماسكة وإشراكها في جميع الخطوات وجميع التدابير المتخذة في مجال حماية الطفولة وخلق قنوات اتصال مستمرة معها في هذا الباب وهي الخطوة الأساسية التي لا غنى عنها.

الكلمات المفتاحية: الطفل، الأطفال في وضعية صعبة، الادماج

مقدمـة:

تشكل الطفولة عطاء الأسرة، والأسرة هي صانعة الطفولة، فطفل اليوم هو أسرة الغد التي تترك بصماتها على شخصيته، لذلك صار مجال الطفولة من المجالات المهمة التي تتطلب الفهم والإلمام وتطوير الأساليب العلمية والعملية لتقديم رعاية أفضل لهذا الطفل. فالاهتمام بالطفولة أصبح يمثل أبرز الدلالات على رقي الأمم والشعوب، ذلك أن بناء المستقبل رهين أساسا بما يحقق من رعاية خاصة بالأطفال الحاليين والمقبلين وما يوفر لهم من شروط النمو السليم والتنشئة الهادفة. ولقد أشار الفيلسوف الفرنسي الكبير ألبرت كامو إلى أن القرن السابع عشر كان قرن الرياضيات، والثامن عشر قرن العلوم الفيزيائية، والتاسع عشر قرن البيولوجيا، في حين أن العشرين والحادي والعشرين هما قرنا الخوف. كان دافعه التعبير عن العالم الذي يغلي بالأزمات السياسية والظلم الاقتصادي والتدهور الاجتماعي وفقدان القيم الأخلاقية وانتشار الحروب الأهلية وتفاقم المشكلات الاجتماعية والظواهر الإجرامية، في ظل هذه الأحداث العنيفة نجد أن الأطفال هم أضعف الفئات في أي مجتمع، وهم الذين يعانون أكثر من غيرهم من أزمات العالم الحديث وانتهاكاته؛ فهذه ضريبة كونهم أطفالا في عالم العولمة في القرن الحادي والعشرين، فترى الأطفال في وضعية صعبة في الشوارع والأزقة في المدن الكبيرة يعانون الجوع والفقر والإهمال وسوء المعاملة.

وهذا ما حدى بالمنتظم الدولي إلى اعتماد مجموعة من المواثيق نص من خلالها على ضرورة حماية حقوق الأطفال، ولعل أبرز هذه المواثيق – والمتصلة بحقوق الطفل مباشرة – هي اتفاقية حقوق الطفل لسنة 1989 والبروتوكولين الاختياريين الملحقين بها و المتعلقين على التوالي ببيع الأطفال و استغلالهم في المواد الإباحية و منع اشراك الأطفال في النزاعات المسلحة ، وكذا اتفاقيات منظمة العمل الدولية ذات الصلة خاصة الاتفاقية رقم 138 الخاصة بالحد الأدنى لسن التشغيل و الاتفاقية رقم 182 الخاصة بحظر تشغيل الأطفال في الأعمال السيئة.

إلا أن هذا الاهتمام بالطفولة ومراعاة المصلحة الفضلى للطفل رافقه إهمال أو لنقل ضعف في توفير الحماية لفئة خاصة من الأطفال وهم الأطفال المهملين وخاصة منهم من يتخذون الشارع مأوى لهم، الشيء الذي أدى إلى بروز عدة إشكاليات مرتبطة بهذه الظاهرة – وهو موضوع هذا الدراسة –، فظاهرة الأطفال المتخلى عنهم وأطفال الشوارع هاته في معظم دول العالم، وخاصة منها الدول النامية، تطرح إشكاليات خطيرة يكون لها تأثير كبير على المجتمع ككل وخاصة على هذه الشريحة من الأطفال التي يفترض أنها تمثل أجيال المستقبل.

تعتبر ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب من الظواهر المقلقة والمسيئة لمجتمعنا، خصوصا أمام تناميها وتفاقمها سنة بعد أخرى، كما لم تعد تقتصر على الأطفال الذكور، وإنما أصبحت في السنين الأخيرة تشمل أعدادا متزايدة من الطفلات اللواتي لجأن إلى حياة الشارع، وترتبط هذه الظاهرة بالتحولات التي عرفها المجتمع المغربي والتي مست بالخصوص بنية المجتمع وبنية الأسرة وألقت بظلالها على وضعية الطفل داخل وسطه الأسري والمجتمعي.

تجدر الإشارة إلى أننا لا نطمح في إطار دراسة مختصرة ومركزة أن نلم بأطراف الموضوع، وخاصة وأن الأمر يتعلق بقضية شائكة، تنعكس فيها كل عناصر الهوة الفاصلة بين المجتمعات المتقدمة صناعيا، والمجتمعات المتخلفة التي تستعير أفضل الصناعات التربوية رغم احتفاظها بعدد من النماذج والبنيات التقليدية ذهنيا ومجتمعيا.

هذا التنبيه ليس تواضعا علميا، وإنما التزام بحدود موضوعية، تجعل من طرح موضوع الأطفال في وضعية صعبة، بالنسبة لشخص ينتمي لمجتمع متخلف وتكون في اتصال مع نماذج المجتمعات المتقدمة محاولة جريئة لطرح الوضع الحقيقي، من وجهة البحث السوسيولوجي، إن هذا التوضيح يعني بالنسبة إلينا، أننا سنقتصر في هذه الدراسة بالتحديد الضابط، على القيام بتشخيص لهذه الظاهرة لمعرفة العوامل والأسباب التي تؤدي إلى انتشارها.

1- مشكلة الدراسة:

تعد ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة من بين الظواهر الاجتماعية المعقدة التي باتت تؤرق المجتمعات المعاصرة، نظرا لتشعب أسبابها وتعدد أبعادها وتداعياتها العميقة على الفرد والمجتمع. ففي ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفها المغرب خلال العقود الأخيرة، برزت فئة من الأطفال تعيش في وضعيات صعبة، وتجيد نفسها في وضعيات تتسم بالهشاشة والحرمان، سواء في الشارع، أو داخل الأسرة خصوصا الأسر التي تعاني من التفكك الأسري أو في مؤسسات الإيواء واكون دوما معرضة لمختلف أنواع العنف.

يشكل الاهتمام بالطفل والطفولة مجالا واسعا وممتدا على مستوى العالم ككل، حيث تتجه الجهود في وقتنا الحالي في كل مكان من العالم نحو الاهتمام بالأطفال وبالطفولة والسعي الحثيث نحو توفير أفضل السبل الممكنة لتحقيق طفولة آمنة مستقرة ومتكيفة طفولة خالية من العقد والمشاكل والعنف بكل أشكاله.

إن الاهتمام بقضايا الطفولة عامة والأطفال في وضعية صعبة خاصة أضحى خيارا أساسيا إن لم نقل استراتيجيا يؤثر مباشرة على الخطط والبرامج الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية... ويرتبط ارتباطا وثيقا بمستقبل البلد حضاريا وثقافيا، ويرجع ذلك إلى عوامل متعددة أهمها: كثافة وعمق التحولات التي عرفها المجتمع المغربي خاصة على امتداد القرن العشرين بأكمله، وانعكاسات هذه التحولات على البنيات المجتمعية التي يشكل الأطفال موضوعها وحلقها الرئيسي. **(مومن، 2010، صفحة 16)**.

وإذا كانت الاتفاقيات الدولية، وعلى رأسها اتفاقية حقوق الطفل، قد وضعت إطارا قانونيا وأخلاقيا لحماية الطفولة، فإن الواقع يشير إلى فجوة قائمة بين النصوص والتطبيق، وإلى القصور في السياسات العمومية الموجهة للطفل، وضعف التنسيق بين مختلف المتدخلين في هذا المجال ما يطرح تساؤلات جوهرية حول طبيعة هذه الوضعية: ما العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتربوية المساهمة في تفاقم ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة؟

إن استفحال هذه الظاهرة لا يمكن قراءته لعيدا عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفها المغرب، والتي أفرزت فئات اجتماعي عشة تعاني من الفقر، والبطالة، والتفكك الأسري، وتدني مستوى العيش، كما لا يمكن فصلها عن التراجع المسجل على المستوى الأدوار التربوية، سواء داخل الأسر أو في المؤسسات التعليمية، مما يجعل الطفل عرضة للانحراف والتشرد والاستغلال.

انطلاقا من الأهمية التي يكتسيها هذا الموضوع، وارتباطا بالحقل السوسيولوجي التخصصي كمجال علمي لعملنا، وإيمانا منا بالتعدد والتنوع والتداخل والتفاعل بين ما هو اجتماعي واقتصادي وثقافي في انتشار هذه الظاهرة، يمكن طرح التساؤلات التالية:

- ما هو تعريف الطفل وما المقصود بالأطفال في وضعية صعبة؟
- ما هي الأسباب والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المرتبطة بالأسرة والتي تساهم في انتشار هذه الظاهرة؟
- ما السبيل لمحاربة ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة؟

2- فرضيات الدراسة:

لمعالجة الإشكالات الآنفة، تفارض الدراسة الفرضيات التالية:

- نظرا للعوامل السوسيوثقافية بمدينة جرسيف نفترض أن ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة منتشرة أكثر في صفوف الأطفال كفئة ذكورية.
- نفترض أن وضعية الهشاشة التي تعاني منها الأسرة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا يساهم بشكل كبير في انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة.
- استتباعا لذلك، نفترض أن ضعف المؤسسات والمراكز الاجتماعية الخاصة بحماية الطفولة يساهم في انتشار واستفحال ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة.

3- أهمية وأهداف الدراسة:

يعتبر الحقل الفكري السوسيولوجي محركا ومحفزا كبيرا لاهتمامنا بهذه الظاهرة التي تنتمي إلى مجال تخصصي ألا وهو سوسيولوجيا التربية: Sociologie de l'éducation، والتي تعني في هذه الموضعة التخصصي: دراسة مجمل الظواهر والأفعال والممارسات والعلاقات والمؤسسات التربوية باعتبارها ممأسسة اجتماعيا، أي بإحالتها إلى مرجعيتها الاجتماعية وذلك باعتماد التوجهات النظرية والمنهجية لعلم الاجتماع العام. **(محسن، 1993، صفحة 9)**

وفي غمرة هذا الاهتمام ذي الأبعاد العلمية والاجتماعية، تبدى لي كمدير مكلف بتسيير مؤسسة خاصة باستقبال الأطفال في وضعية صعبة بالمغرب، أن هذه الظاهرة تسيطر عليها المقاربات القانونية والحقوقية، بينما تعاني من بعض الغياب للمقاربات السوسيولوجية التي تربطها بالإطار الاجتماعي الذي تندرج فيه. وقد دفعتنا هذه الملاحظة المنهجية إلى بلورة عملية لهذه الدراسة التي تهتم بالأطفال في وضعية صعبة.

وهكذا، فإن الأهداف التي حفزتنا على القيام بهذه الدراسة، يؤسسها من الناحية العلمية، طموحنا إلى إنجاز قراءة سوسيولوجية لهذه الظاهرة. أما من الناحية الاجتماعية فقد كنا نرمي، عبر هذا العمل، إلى مقاربة بعض جوانب الوضعية الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية التي تعيشها أسر الأطفال في وضعية صعبة في مجتمعا.

ولعل دراستنا لهذه الظاهرة، من زاوية سوسيولوجية، كفيلة بأن تسهم في التعريف ببعض جوانب هذه الظاهرة. وإذا أدخلنا في الاعتبار كون ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة قد تتزامن مع فترة المراهقة بكل خصائصها وحواملها وانعكاساتها على تطور الفرد: جسميا ونفسيا واجتماعيا...إذا أدخلنا في الاعتبار كل هذه الحيثيات، فإن اختيارنا لهذه الدراسة له ما يبرره علميا واجتماعيا.

تكمن أهمية الموضوع كذلك في راهنيته، إذ يندرج ضمن التوجه السائد حاليا على المستوى الدولي والإقليمي والوطني، وعزم الدولة المتزايد في تكريس حقوق الإنسان عامة وحقوق الطفل بصفة خاصة، بما يضمن تطور شخصيته في جميع مجالات حياته، خاصة في ظل وعي المملكة المغربية بوجود فئات عريضة من الأطفال معرضة للتهميش، وهو ما يقتضي منها تجنيد كافة السبل والإجراءات لضمان تمتيع الطفل بمختلف الحقوق المكفولة لهم دوليا ووطنيا.

وتسعى هذه الدراسة بالتحديد الضابط إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على موضوع الأطفال في وضعية صعبة من حيث المفهوم والخصائص؛

- معرفة الأسباب والعوامل التي تساهم في انتشار هذه الظاهرة؛
- توفير معطيات تساهم في اقتراح حلول ممكنة ترمي إلى مواجهة الظاهرة والحد من انتشارها.

4- منهجية الدراسة:

منهجية التحليل:

للإجابة عن الإشكالية المركزية للدراسة ارتأينا توظيف المنهج الوصفي لرصد وضعية حقوق الطفل، والأطفال في وضعية صعبة بالخصوص انطلاقا من المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية باعتماد عينة تتكون من 37 طفلا بمدينة جرسيف، ونحن بصدد الحديث عن المنهجية المعتمدة، ننبه إلى أن نمط التحليل الذي اعتمدناه لم يركز فقط على الأرقام الكمية لظاهرة الأطفال في وضعية صعبة، بل حاول المزاوجة بين مستويين أساسين،

- تحليل كمي Quantitatif: يستهدف رصد وانتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة بمدينة جرسيف، وذلك عبر الزيارات الميدانية بأحياء المدينة والاستماع للمستجوبين.
- تحليل كيفي Qualitatif: يتجاوز المعطيات الكمية والرقمية إلى مستوى التأويل والتعليل، أي تجاوز الظاهر في الظاهرة إلى محاولة استنطاق العوامل والأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية المسكوت عنها والمفسرة لها. فقد حاولنا أن نجعل من هذين النمطين من التحليل متوازيين حرصا منا على تكامل نسقية التحليل وانسجامه.

تقنيات البحث:

استندت هذه الدراسة من أجل جمع المعطيات المتعلقة بموضوع البحث الأطفال في وضعية صعبة، على أداة الاستمارة بوصفها إحدى الوسائل الكمية الفعالة في البحث السوسيولوجي، حيث تم تصميمها بشكل دقيق بالاستشارة مع خبراء في المجال العلمي البحثي لتستجيب لأهداف الدراسة وتساؤلاتها، وقد تضمنت مجموعة من المحاور التي تمس مختلف الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية والتربوية المرتبطة بوضعية الأطفال في وضعية صعبة. وقد توزيع هذه الاستمارات ميدانيا في عدد من الأحياء والشوارع الرئيسية بمدينة جرسيف خاصة السوق الشعبي الأسبوعي، حيث يجتمع الأطفال في وضعية صعبة، كما تم الحرص على تبسيط الأسئلة لضمان تفاعل الفئة المستهدفة وفهمها للمضامين. وقد أتاح لنا هذا الأسلوب إمكانية رصد المعطيات بشكل مباشر، ورسم صورة واقعية عن الوضعية الراهنة لهؤلاء الأطفال من خلال إجاباتهم الصريحة والعفوية، مما وفر أرضية خصبة للتحليل الكمي ومقارنة المؤشرات ذات الصلة بالظاهرة موضوع الدراسة.

الحدود الجغرافية والزمنية للدراسة:

الدراسة الميدانية أجريت بمدينة جرسيف، الواقعة في شرق المملكة المغربية بتعداد سكاني يتجاوز 90 ألف نسمة، وقد ركزت على أماكن تواجد الأطفال في وضعية صعبة بكثافة، في أحياء وشوارع المدينة حصوصا السوق الأسبوعي وهو مكان أساسي لتواجد هؤلاء الأطفال من أجل بيع الأكياس ومسح الأحدية. وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأطفال المستجوبين يصعب إدراجهم في قائمة أطفال الشوارع، لأن جميعهم ينتمون إلى أسرهم وأغلبهم لهم مستوى دراسي، وبحكم انتمائهم إلى أسر فقير يضطرون إلى الخروج إلى الشارع لبيع الأكياس ومسح الأحدية. وقد استغرقت الدراسة الميدانية أكثر من ستة أشهر بداية من شهر نونبر 2024 إلى غاية بداية أبريل 2025 لفترات متقطعة.

وتأسيسا على هذه الحيثيات الدالة والمعبرة، فإننا قد صنفنا دراستنا هذه ضمن الدراسات الوصفية Descriptives التي تنطلق عادة، من فرضيات أولية بهدف تقديم تحليل للظاهرة المبحوثة يتجاوز مجرد الكشف والاستطلاع Exploration إلى تفسير أو تأويل معمق نسبيا لأبعادها ودلالاتها.

هيكلة الدراسة:

تم تقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين وخاتمة، على النحو الآتي:

- **المقدمة:** وتضمنت كل ما سبق؛
- **المبحث الأول**: الإطار النظري للدراسة والدراسات السابقة؛
- **المبحث الثاني**: الجانب الميداني من الدراسة والذي يتمثل في المعطيات الميدانية التي توصلنا إليها من خلال تقنية الاستمارة الخاصة بالمبحوثين من الأطفال التي أجريناها مع عينة من الأطفال؛
- **الخاتمة**: تضمنت النتائج والتوصيات والمقترحات وخلاصة.

المبحث الأول- الإطار النظري والدراسات السابقة

أولا- الإطار النظري- التعريفات الإجرائية للمفاهيم الأساسية للدراسة

1- مفهوم الطفل: Child

ليس من السهل وضع تعريف محدد لمفهوم الطفل نظرا للتراث الفكري الكبير الذي وضع حول هذا المفهوم لدرجة لا نستطيع أن نلم بكل ما كتب حوله من جهة، ومن جهة ثانية، لأن حياة الفرد وحدة متصلة متكاملة، يصعب النظر إليها بشكل مجزأ في مراحل عمرية مختلفة على أرض الواقع بل فقط يمكن كناحية منهجية إجرائية للبحث في نمو الانسان أن يقسم عمره تقسيما إجرائيا إلى مراحل مختلفة طفولة، شبابا، شيخوخة..، بالإضافة إلى صعوبة الاتفاق على مرحلة زمنية بعينها كنهاية لمرحلة الطفولة في حين يمكن الوصول إلى شبع اتفاق عن بداية هذه المرحلة. ولهذا ربما كان المفكر الفرنسي " بير بورديو P.BOURDIEU" محقا كل الحق حينما اعتبر الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية حدودا اعتباطية، بحيث أنه لا يمكن معرفة أين تنتهي مرحلة الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكن تقدير أين ينتهي الفقر ليبدأ الثراء. (BOURDIEAU, 1980).

ويقصد بمفهوم الطفولة الطفل المرحلة مند الميلاد حتى نهاية الحادية عشر، ولهذه المرحلة أهمية خاصة في حياة الفرد، ذلك لأنه في مرحلة الطفولة توضع البذور الأولى لشخصية الطفل ويتكون الإطار العام لشخصيته، ويكون لهذا أكبر الأثر في تشكيل شخصية الطفل في المراحل اللاحقة. (عيسوي، 1985، صفحة 59).

وعند الرجوع إلى المواثيق الدولية نجد المادة 1 من الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل تعرف الطفل " بأنه الشخص دون سن الثامنة عشرة، ما لم تعرف القوانين الوطنية السن القانونية بأكبر من تلك" ويعرف معجم روبير الفرنسي الطفل بكونه: إنسان في سن الطفولة ثم الطفل à l'égard de son milieu هو طفل متعلق بوالديه ويعني الشجرة العائلية والانتساب" .(Robert, 1977)

ويرى بعض الباحثين أن الطفولة هي الفترة من العمر التي تبدأ من لحظة مولد الكائن الحي، والتي تستمر حتى يصبح ناضجا، ويمكن تحديدها بالقول إنها هي الفترة التي يكون فيها هذا المخلوق محتاجا إلى عائل. ولعل هذا المصطلح يختلف فترة الطفولة بين الأحياء ويكون الإنسان هو أطولها طفولة، وعلى الرغم من أنه يولد قابلا للتكيف والتلاؤم والمقدرة على الادراك والاحساس واكتساب المعرفة بالتجربة والتطور.

وقد قسم العلماء حياة الانسان إلى مرحلتين:

- مرحلة الطفولة وتبدأ من مولد الانسان حتى يبلغ الثامنة عشرة (حسب البيئة والمجتمع).
- مرحلة الرجولة أو الأنوثة وهي التي تمتد من بعد ذلك، وتستمر حتى نهاية العمر.

ويقسم العلماء مرحلة الطفولة إلى ثلاث فترات:

- فترة الطفولة المبكرة: من الولادة حتى سن السادسة،
- مرحلة الطفولة الوسطى: من السادسة حتى الثانية عشرة؛
- فترة الطفولة المتأخرة: وتشمل فترات البلوغ والمراهقة ومطلع الشباب، وتمتد من الثانية عشرة حتى سن الثامنة عشرة، ولكل هذه الفترات خصائصها الجسمية والنفسية، مما يلزم أن يراعي حسابه في كل شأن من شؤون التربية والتعليم والصحة والثقافة. **(مومن، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، 2010، صفحة 20).**

إن انفعالات الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة تتميز بسرعة التغير والتقلب، فالطفل يغضب بشدة لأتفه الأسباب ثم يعود بسرعة ويلعب ويلهو. ويلاحظ ذلك على علاقات الأطفال بعضهم ببعض حيث ينتقل الطفل من شجار إلى تعاون ولعب مشترك. وتتصف انفعالات الطفل في هذه المرحلة أيضا بالشعور بالغيرة والأنانية وحب الامتلاك والرغبة في تحقيق حاجاته دون نظر إلى مقتضيات الواقع.

أما في مرحلة الطفولة المتأخرة فيمتاز الطفل بالهدوء والاتزان. فالطفل في هذه المرحلة لا يفرح بسرعة ولا يغضب بسرعة كما كان الحال في مرحلة الطفولة المبكرة فهو يفكر ويدرك ويقدر الأمور المثيرة للغضب والانفعال ويقتنع إذا كان مخطئا كذلك يتغير موضوع الغضب، فبدلا من الانفعال بسبب إشباع الحاجيات المادية تصبح الإهانة أو الإخفاق من الأمور التي تستشير انفعالاته، أي الأمور المعنوية. **(عيسوي، 1985، صفحة 34).**

عموما يمكن القول، أن مفهوم الطفل/ الطفولة عرف تطورا هاما في القرن العشرين حيث تغيرت نظرة الراشدين إلى الطفولة التي كانوا ينظرون إليها بما ينسجم وتصوراتهم الفكرية والعقائدية والسياسية بل وحتى الطبقية، حيث نجد أن الطبقة العليا تنظر إلى الطفل كوريث يحافظ على رأسمالها المادي والرمزي، بينما تنظر الطبقة الوسطى للطفل كامتداد لها يحافظ على اسمها وتاريخها، في حين نجد أعضاء الطبقة الدنيا يعتبرون الطفل مشروع استماري اقتصادي يساعدهم على تجاوز وضعية الفقر ويتكفل بهم في مرحلة الشيخوخة. **(مومن، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، 2010، صفحة 21).**

وهذا ما عبرت عنه الدكتورة عائشة بلعربي حيث أكدت أن الطفولة كمفهوم وواقع لا يمثل شريحة اجتماعية عمرية فحسب، وإنما هي تيمة إيديولوجية تعكس العقليات والمواقف المتباينة التي تتبناها أو تنطلق منها نظرة مختلف الطبقات الاجتماعية للطفل. **(belarbi, 1990, pp. 31-32).**

وهكذا يتبين لنا من خلال الوقوف عند بعض التعريفات المختلفة والمتعلقة بتحديد مفهوم الطفل ومرحلة الطفولة تحديدا دقيقا، أنه ليس بالأمر السهل، وأن الهدف من الوصول إلى تعريف دقيق للطفولة هو بقصد الفهم الدقيق لهذه المرحلة ومعرفة نوع الخدمة والرعاية اللازمة لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل مع ما يرتبط بذلك من التحسين والتطوير في برامج الرعاية والعناية الخاصة بالطفولة. ويلاحظ أن معظم التعاريف السالف الإشارة إليها تتفق على أن مرحلة الطفولة من المراحل الحياتية الهامة التي تستوجب ضرورة تلبية احتياجاتها والرفع من مستوى ونوعية برامج الحماية والرعاية لهذه الفئة من أجل خلق مواطن يتسم بمواصفات اجتماعية واقتصادية وثقافية تنسجم مع روح العصر.

2- مفهوم الأطفال في وضعية صعبة: children in difficult situations

إن مفهوم الأطفال في وضعية صعبة يعد من المفاهيم الصعبة التحديد والإلمام، لأنها تعتبر بمثابة تراكم مجموعة من العوامل والأسباب التي تنبه المهتم بمجال حماية الطفولة إلى وجود مجموعة من الظروف السوسيوثقافية السوسيواقتصادية والسوسيوتربوية التي يعيش فيها الطفل، والتي قد تؤثر على المسار القويم لحياته، على اعتبار أن كل التعاريف التي تتطرق لحالة الطفل في وضعية صعبة تأخذ بعين الاعتبار وضعيته النفسية والاجتماعية والتربوية، وهي مفاهيم يصعب تحديد متغيراتها بكل دقة.

وإذا كان الباحث لا يعثر على أي تعريف لمفهوم الطفل في وضعية صعبة في الاتفاقيات الدولية المتعلقة بحماية الطفولة، فإن المشرع المغربي قد قدم تعريفا دقيقا لهذه الفئة وبالضبط في المادة 513 من قانون المسطرة الجنائية على أن الطفل في وضعية صعبة هو كل طفل أقل من 16 سنة كانت سلامته البدنية أو الذهنية أو النفسية أو الأخلاقية أو تربيته معرضة للخطر بسبب:

- اختلاطه بأشخاص منحرفين أو معرضين للانحراف أو معروفين بسوء سيرتهم أو من ذوي السوابق في الإجرام.
- تمرده على سلطة أبوية أو حاضنه، أو الوصي عليه، أو المقدم عليه، أو كافلة، أو الشخص أو المؤسسة المكلفة برعايته.
- اعتياده الهروب من المؤسسة التي يتابع دراسته أو تكوينه أو هجر مقر إقامته
- عدم توفره على مكان صالح يستقر فيه. **(المادة 513 قانون المسطرة الجنائية المغربية، 2024، صفحة 164).**

إن ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة ظاهرة مجتمعية يقتضي وضعها في سياق العوامل المؤثرة عليها من اقتصادية واجتماعية وتعليمية، وقد ساهمت عوامل أخرى كثيرة ومتشابكة على تضخم المشكلة، نظرا لاعتمادها على مجموعة من المكونات الاجتماعية والاقتصادية التي ارتبطت معا وأدت إلى زيادة هؤلاء الأطفال **(فهمي، 2008، صفحة 45)**، وهذا ما سنقوم به في الجانب الميداني من الدراسة.

ولهذا يمكن القول أن هذه الظاهرة ترتبط بشكل أساسي بمجموعة من العوامل التي تؤججها، كالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك الطابع العام لجهاز الضبط الاجتماعي من قيم وأعراف وأخلاق وتقاليد **(التاج، 2002، صفحة 57)**، التي تحكم المجتمع فينظر إلى الطفل في وضعية صعبة نظرة وصم اجتماعي، كالأطفال المهملين الذين هم نتيجة علاقات غير شرعية لما يعرف بالأمهات العازبات واللواتي يعشن ظروفا صعبة يتداخل فيها ما هو اقتصادي بما هو اجتماعي وقيمي مما يؤدي بأغلبيتهن للتخلي عن ابنائهن.

3- مفهوم الادماج: Integration

يحيل مفهوم الادماج إلى معاني عديدة تدل على التوحد والانصهار وهي دلالات تناقض العزلة والصراع والانقسام والتناقض، ففي ميدان علوم التربية والتعلم يشير هذا المفهوم إلى خاصية من خاصيات الكفاية، وهو نشاط ديداكتيكي الهدف منه جعل المتعلم يحرك موارده ومكتسباته التي كانت موضوع تعلمات منفصلة من أجل إعطائها معنى ودلالة.

فالإدماج إذن هو تفاعل وتكامل المواد فيما بينها في نسق موحد متكامل منتظم من المعارف والمهارات والاتجاهات والمكتسبات المتفاعلة فيما بينها في وضعيات متكافئة. وحسب دوكتيل وروجيرس فإن للإدماج ثلاث أبعاد:

- الترابط بين العناصر التي نتوخى إدماجها، أي أن المتعلم عليه أن ينسج شبكة من تلك العناصر لتكون نسقا متكاملا.
- المفصلة بمعنى مفصلة العناصر وتحريكها إعادة استثمار المكتسبات.
- الاستقطاب (polarisation) ويعني التحريك المذكور سابقا يجب أن يحقق هدفا مضبوطا، أي أن الوضعية ذات معنى ودلالة. **(ضيف، 2010، صفحة 14)**.

إذا كان الادماج يقصد تأهيل الأفراد بشكل يسمح بإمكانية إحداث التكيف المطلوب مع المجتمع فإن إعادة الادماج هو من المصطلحات التي أدمجت في حقل علم الاجتماع منذ ربع قرن تقريبا، وهو بذلك مفهوم حديث ويقصد به إحداث بعض التغيرات على بيئة ومحيط الفرد لتحقيق التكيف الاجتماعي. **(مخلوف، 2000، صفحة 20)**. عبر ما يسمى بعملية انصهار الجزأ في الكل لتكون مجموعة موحدة.

إن المجتمع الشامل هو "مجتمع للجميع" يتمتع فيه الشخص بحقوق ومسؤوليات ويضطلع فيه بدور فاعل. ينبغي أن يرتكز المجتمع الشامل على احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية كافة، والتنوع الثقافي والديني، والعدالة الاجتماعية وحاجات الفئات الضعيفة والمحرومة الخاصة، والمشاركة الديمقراطية وحكم القانون يمكن تحقيق كل ذلك من خلال اعتماد الآلية المناسبة من أجل توفير فرص متكافئة لتحقيق الإمكانيات الكاملة والمشاركة في عمليات صنع القرار في حياتهم اليومية وتلك التي تحدد مستقبلهم. يمكن تحديد الإدماج الاجتماعي على أنه "متعدد الأوجه" بطبيعته، ويتمتع بالمزايا التالية:

- الاعتبار: يأخذ واضعو السياسات بعين الاعتبار اهتمامات المرء واحتياجاته؛
- النفاذ إلى التفاعلات الاجتماعية؛
- الحقوق: الحق بالتصرف والمطالبة (ويشمل الحق بالاختلاف، "الهوية")، حق النفاذ إلى الخدمات الاجتماعية المتاحة وذات الجودة (السكن، التعليم، النقل، الرعاية الصحية، إلخ)، الحق في العمل، حق المشاركة في الحياة الثقافية؛

الموارد للمشاركة الكاملة في المجتمع: الموارد الاجتماعية والمالية أساسية.

يختلف الإدماج الاجتماعي عن التكامل الاجتماعي، ويدل ذلك على عملية مشاركة ديناميكية في المجتمع تسمح بإدماج الجميع اجتماعيا مع الحفاظ على التنوع والفردية. بعبارات أخرى، إنها محاولة لإنشاء "مجتمع للجميع" مع احترام الاختلافات. وقد يشمل ذلك مبادرات حكومية، وسياسات، وبناء قدرات، وأيضا النفاذ إلى البنية التحتية التي تسمح بالحوار والتبادل. يترافق مع الإدماج والتكامل الاجتماعيين التماسك الاجتماعي الذي يعطي للفرد من أفراد المجتمع حسا بالانتماء، والتقدير، والشرعية ليس نتيجة التجانس الديموغرافي، بل احتراما للتنوع. **(منظمة الأمم التحدة للتربية والعلم والثقافة، 2013، صفحة 8).**

ثانيا- دراسات سابقة:

1- دراسة الدكتور محمد الدريج المعنونة ب " الأطفال في وضعية صعبة"، نشرت ضمن سلسلة المعرفة للجميع (الدريج، 1998).

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على واقع الأطفال في وضعية صعبة والذين يعيشون في ظروف اجتماعية ونفسية صعبة مثل أطفال الشوارع، الأطفال المتخلى عنهم، المنقطعون عن الدراسة، الأطفال العاملون في سن مبكرة، والأطفال ضحايا العنف الأسري أو الإهمال. ركز الباحث في هذه الدراسة على تحليل الأسباب البنيوية لهذه الظاهرة، مثل الفقر، التفكك الأسري، ضعف المنظومة التعليمية، والهشاشة النفسي، مع تقديم مقترحات تربوية للتدخل، اعتمدت الدراسة على مقاربة منهجية سوسيولوجية وتربوية مدعومة بأمثلة ميدانية من الواقع المغربي. كما استندت إلى تجارب وخبرات ميدانية في مجال حماية الطفولة، مع التركيز على أهمية التكامل بين الأسرة والمدرسة والمجتمع المدني. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من التوصيات أهمها: إصلاح المنظومة التربوية للحد من الهدر المدرسي وتوفير بيئة تعليمية دامجة، ودعم الأسر الهشة من خلال برامج اجتماعية واقتصادية تعزز من استقرار الأسرة، وتعزيز دور المجتمع المدني في تقديم الدعم والرعاية للأطفال في وضعية صعبة، وأخيرا تطوير التشريعات والسياسات لحماية حقوق الطفل وضمان رفاهيته.

2- دراسة الدكتور محمد مومن المعنونة ب " ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية (مومن، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، 2010).

تناولت هذه الدراسة موضوع أطفال الشوارع بالمغرب. من خلال التوصل إلى رصد الظاهرة ومحاولة دراستها ومقاربتها من بعض جوانبها الأساسية الاجتماعية والنفسية، عبر معرفة خصائص أطفال الشوارع والوقوف عند الأسباب التي دفعت بهم إلى اللجوء إلى حياة الشارع اجتماعيا واقتصاديا ونفسيا...هذه الدراسة شملت عينة من 711 طفل، وتعتبر أول دراسة تناولت ظاهرة أطفال الشوارع من الجنسين، حيث أن الدراسات السابقة على قلتها اعتبرت هذه الظاهرة بكونها ذكورية بالأساس بحكم الاستقطاب المبكر للفتيات المشردات من أجل التشغيل كخادمات في البيوت. خلصت الدراسة إلى كون التسول يأتي في مقمة الأنشطة التي يزاولها الأطفال بنسبة 18%، أما مسح الأحدية وبيع الأكياس فاحتلت المرتبة الثانية بنسبة 15%، في حين ذكر حوالي 13%، من هؤلاء المستجوبين الصغار بأنهم يمارسون بالأساس غسل السيارات. كما احتلت السرقة المرابة الخامسة من انشغالات أطفال الشوارع بنسبة 6 %.

يربط الباحث ظاهرة أطفال الشوارع بالتحولات التي طرأت على مؤسستي المدرسة، بالإضافة إلى عوامل الفقر والهشاشة الاجتماعية، كل ذلك أدى إلى انتشار ظاهر أطفال الشوارع. ولذلك أوصت هذه الدراسة بضرورة وضع سياسات شمولية تعالج الاختلالات المجتمعية التي تسهم في تفاقم هذه الظاهرة، وإصلاح المنظومة التعليمية للحد من الهدر/التسرب المدرسي، وتقليص الفجوة بين المجالين الحضري والقروي عبر تعزيز العدالة الاجتماعية، وتنفيذ برامج لإعادة إدماج الأطفال في أسرهم ومجتمعهم من خلال الاستثمار أساسا في الأسرة وجعها شريك أساسي في السياسات الاجتماعية.

3- دراسة حكيمة آيت حمودة ودهية آيت حمودة (2015) بعنوان: دراسة تحليلية لبعض الخصائص النفسية والاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم وصف تحليلي لبعض الخصائص النفسية والاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع، وذلك من خلال معرفة من هم أطفال الشوارع؟ وماذا يفعل هذا الطفل في الشارع، إلى أين يذهب، كيف يعيش؟ وما هي عواقب وخطورة هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع؟ وتطرقت الدراسة في الأخير إلى عرض بعض التوصيات والاقتراحات لمواجهة هذه الظاهرة التي اكتسحت المجتمع الحضري بشكل متواصل، وخصوصا المدن الساحلية (آيت حمودة، 2015، صفحة 99).

4- دراسة حسن رضا (2023)بعنوان التدخل القائم على المرونة في مجال الصحة العقلية لأطفال الشوارع في البدان النامية (حمدان، 2024).

أجريت هذه الدراسة حول الدراسات التي أقيمت في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية على أطفال الشوارع، هؤلاء الأطفال يكافحون ضد احتمالات لا يمكن التغلب عليها، والتجربة الأكثر شيوعا بين هؤلاء الأطفال هي الاستبعاد المنهجي، فهم مستبعدون من الحقوق الأساسية في الغداء والمأوى والمدرسة والرعاية الصحية، ويحرمون من الرعاية الاجتماعية والبدنية التي يتمتع بها معظم الناس، يتم إرسال البعض من قبل عائلاتهم للتسول في الشوارع...خلصت الدراسة إلى أن الإجهاض والإيذاء والخلل الوظيفي في الأسرة هي من بين العوامل العديدة التي تساهم في انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع، وأن معظم أطفال الشوارع يعانون من اضطرابات الصحة النفسية والعقلية، والقلق والاكتئاب وتدني احترام الذات واضطراب ما بعد الصدمة PTSD والتفكير الانتحاري، والاغتراب الاجتماعي، والصدمات والاساءات، ولذلك تؤكد الدراسة أن التدخلات التي ترتكز على المرونة وتعترف بالمخاطر والعوامل الوقائية يمكن أن تساهم في تحسن نتائج الصحة العقلية. وينبغي للتدخلات أن اضع مفاهيم للصحة العقلية بعبارة إيجابية وأن تحرص على الأهداف التي تعزز الصحة والأهداف الوقائية عبر الأنشطة والبرامج التحسيسية، حيث أظهرت الأبحاث أن العلاقات الاجتماعية الإيجابية تعزز تطوير العمليات النفسية والاجتماعية اللازمة للتعامل مع ضغوط الحياة اليومية والحماية من الاضطرابات النفسية.

تمثل خطوة استثمار الدراسات السابقة خطوة حاسمة في انجاز إي بحث علمي، لا سيما في المواضيع ذات المنظور السوسيو-اجتماعي والسوسيو-تربوي كموضوع دراستنا الأطفال في وضعية صعبة. فالدراسات السابقة تمكن الباحث من فهم الأطر النظرية والمنهجية التي تم اعتمادها في دراسات مماثلة، وتساعده في تحديد الفجوات البحثية التي يمكن أن يساهم بحثه في سدها.

في هذا السياق، تم الاطلاع على لعض الدراسات والتقارير الوطنية التي تناولت بالخصوص ظاهرة الأطفال في وضعية الشارع من زوايا متعددة، سواء ما يتعلق بالأسباب المؤدية إلى انتشار هذه الظاهرة، أو ما يرتبط بالأدوار المؤسساتية التربوية بالخصوص من أجل التعامل مع هذه الفئة. وقد أظهرت هذه الدارسات أن هذه المشكلة مرتبطة بعوامل متعددة كالفقر، التفكك الأسري، قلة وضعف البرامج الاجتماعية...ولقد مكنتنا هذه الدراسات من التعرف على أبرز التحديات التي تعيق إدماج الأطفال في وضعية صعبة في النسيج الاجتماعي، كما تم تحديد مجالات التدخل ذات الأولية، وهو ما ساعد هذه الدراسة في بناء تصور متكامل حول الإشكالية وصياغة تساؤلات البحث لشكل دقيق، بما يسهم في إنتاج معرفة علمية ذات صلة بالواقع المجتمعي.

ونورد في هذا السياق، ملاحظة منهجية هامة جدا، هو أنه قد واجهتنا في هذا الإطار بالذات، صعوبة ندرة الدراسات المرتبطة بالموضوع المبحوث، خصوصا دراسات في موضوع الأطفال في وضعية صعبة وليس موضوع أطفال الشوارع، فضلا عن الصعوبة التي يطرحها التحليل السوسيولوجي لهذا الموضوع المتشابك والمتداخل مع العديد من المواضيع والاجتماعية والاقتصادية والنفسية والثقافية والتربوية. ولذلك وبناء على كل هذه الحيثيات فإننا لا ندعي إحاطة شاملة بالموضوع ذاك، إذ تعترف بأن لهذه الظاهرة المبحوثة جوانب أخرى معرفية، يمكن مقاربتها في دراسات مختلفة، وفق إشكاليات جديدة.

ثالثا- عوامل وأسباب انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة:

تساءل المدير العام لليونيسكو، فريديريك سوطو مايور، سنة 1995، في ختام الخطاب الذي ألقاه بمناسبة «سنة الأمم المتحدة للتسامح»، بالقول: أليس من الأجدر بنا الاهتمام بالأطفال الذين سنخلفهم للعالم، بدل الانشغال بالعالم الذي سنخلفه لأطفالنا؟ كما أكد السيد كوفي عنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة بدوره على دور التربية، بقوله: لا أحد يولد مواطنا صالحا، وليست هناك أي دولة ولدت ديمقراطية، ففي كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بسيرورة في تطور مطرد. لهذا يتعين إدماج الشباب منذ ولادتهم. وكل مجتمع يقطع الصلات بشبابه، ينفصل عن النبع الذي يمده بنسغ الحياة، وهو بذلك يحكم على نفسه بالموت.

تبرز هاتان المقولتان الدور الأساسي الذي يضطلع به الطفل في مجال التنمية المستدامة لبلده، وتحيل أيضا ضمنيا إلى الرهانات التي يتعين على السياسات العمومية أن تكسبها، وعلى التحديات الواجب رفعها من أجل حماية الطفل وإعداده على أحسن وجه ليقوم بدوره في المستقبل كمواطن فاعل في عالم ما ينفك يزداد تعقيدا. فمشاكل الطفولة تعكس مشاكل المجتمع برمته، فالطفولة تعيش نتائج وآثار البنية الاجتماعية والقيم الاجتماعية السائدتين، وعلى وجه التحديد إن واقع طفولتنا في ارتباطه بالوضعية العامة للمجتمع مرتبط على وجه

الخصوص بالمستوى المعيشي للانتماء الطبقي. ولذلك فالطفولة طفولتان: طفولة البورجوازية وأبناء الأعيان، وطفولة أبناء الشعب أو الطفولة المسحوقة التي نشاهد عينات منها كل يوم في مكانها المفضل أي الشوارع. فالطفل الذي يولد في أسرة ميسورة يحاط منذ الوهلة الأولى بدفئ مادي ومعنوي ينمي فيه إحساسه بذاته وشعوره بالتميز والتفرد والتفوق، فيجد أمامه السبل معبدة للتعليم وإلى تحقيق النجاح الاجتماعي المأمول. فهو يسلك طريقا مأمونة النتائج، بلا زاد وبلا شرط وبلا ضمانات، لأن المستوى الاجتماعي يتوارث كما تتوارث الألقاب والأملاك. فقد أثبتت دراسة علمية لمصير الأفراد ضمن مجتمع طبقي قام بها عالم اجتماع فرنسي إن حظ أبناء الأطر العليا في امتلاك مناصب عليا يوازي 12 مرة حظ أبناء العمال في الوصول إلى مثل هذه المراكز. (سبيلا، 2001، صفحة 88).

إن المجتمع سوسيولوجيا يولد نفسه وينتج نفسه من جديد وباستمرار تحكم آليته الداخلية ويعيد إنتاج نفس التقسيم الاجتماعي عبر الأجيال، فأبناء الأسر الفقيرة محكوم عليهم، في إطار قانون الشد بالبقاء في نفس المستوى الطبقي، وأعتقد أن هذا المعطى هو أحد المداخل الرئيسية للحديث عن أسباب وعوامل انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة موضوع دراستنا، لأنه من المستحيل، حاليا، تقديم وصف تفصيلي لواقع الطفولة في زمننا الراهن نظرا لتشعب الموضوع وارتباطه بحقوق معرفية واسعة، لذلك سنقتصر في هذه الورقة على الحديث عن العوامل والأسباب التي ساهمت وتساهم في حدوث ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة.

- **العوامل الاجتماعية:**

أود أن أؤكد في بداية الحديث عن الأسباب والعوامل الاجتماعية، على أمر بديهي وهو أن الإنسان يكاد يكون الموجود الوحيد الذي يحتاج، ولمدة طويلة، إلى رعاية الراشدين ليوفروا له، من جهة، المأكل والمشرب والملبس، وهي أمور ضرورية للبقاء والاستمرار، ومن جهة أخرى، ليوفروا له العناصر الوجدانية والعقلية والسلوكية الضرورية لتكوين الشخصية الأساسية، قبل أن يتولى المجتمع المفتوح والمؤسسات التعليمية بمخالف مستوياتها إتمام التكوين العقلي والسلوكي، ومفيد أن نشير إلى أنه انضافت إلى هذه المؤسسات الأولية وبفضل التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي، مؤسسة الاتصال والإعلام التي تلعب دورا حاسما في تسريع وثيرة التغيرات التي تطرأ داخل الأسرة أو المدرسة في اتجاه التفتح على العصر ومواجهة معركة الحداثة بالقدرة على المساهمة والتأثير الإيجابي فيها.

هذا الأمر البديهي يجعلنا نعتقد اعتقادا تاما بأن الأسرة هي الإطار المرجعي الاجتماعي الذي يفتح الطفل عينه فيه على العالم، وهي الوسط الذي يتكفل بتزويد الحدث الصغير بما ذكرناه من عناصر التنشئة والأمان، وهي عناصر بعضها وجداني، وبعضها عقلي، وبعضها سلوكي، لا بد من تفاعلها لتحقيق النضج، أي للتدرج من الحالة الجنينية إلى الطفولة إلى المراهقة عبر مراحل نجحت العلوم الإنسانية في رسم معالمها سيكولوجيا وسوسيولوجيا وأنثروبولوجيا وتحليلا نفسيا...إلخ. وبمعنى آخر يتعلم الطفل في إطار الأسرة اللغة والتفكير والسلوكيات العلائقية داخل الأسرة وخارجها، وكذلك مفاهيم الشغل وتقسيمه وعناصر الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. **(القباج، 1997، صفحة 8)**.

الأسرة إذن ولكل هذه الاعتبارات وسط ضروري، لا يدرك الانسان ضرورته هاته وأهميته القصوى إلا في حالات التي يفتقد فيها طفل هذا الوسط بكل مقتضياته الذهنية والعاطفية والقانونية، خاصة في حالات التفكك الأسري أو الطلاق حيث يكون الطفل عرضة لكثير من الاختلالات والتجارب العاطفية الأليمة.

إن الأسرة التي تعاني من التفكك الأسري الناتج عن الظروف المعيشية والاقتصادية المتدهورة للأسرة، وطريقة التربية السيئة وممارسة العنف ضد الطفل يؤثر في نفسيته وسلوكه بشكل كبير، وهو ما يولد لديه النفور والهروب إلى أماكن قد يجد فيها حريته ليمارس استقلاليته بالإضافة إلى غياب الرقابة والرعاية اللازمة له، فالطفل جزء لا يتجزأ من المجتمع الكلي وهو صورة مصغرة من محيطه الأسري الذي نشأ فيه وترعرع فيه. فالتفكك الأسري هو انهيار الوحدة الأسرية وانحلال بناء الأدوار الاجتماعية المرتبطة بها عندما يفشل عضو أو أكثر على القيام بالالتزامات دوره بصورة مرضية. **(كسال، 1986، صفحة 25)**. وللتفكك الأسري أشكال مختلفة كلها تؤدي إلى التصدع والانهيار الأسري وتكون أهم أسبابها مشاكل بين أفرادها ويكون الطفل أول ضحاياها، وهذا ما يفسر هروبه الدائم من المنزل واتخاده رفاق السوء تعويضا عنها ومن الشارع مكانا لتفريغ مكبوتاته وتصرفاته المتمردة التي تعكس معاناته وتناقضاته، وهذا يؤدي في الغالب الأعم إلى ما يسمى بالهدر المدرسي.

فحسب بعض الباحثين يعتبر التفكك الأسري أهم سبب في انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة، فهو يأتي في بعض الحالات في الدرجة الأولى حتى قبل الفقر، بسبب الهجرة أو الافتراق أو وفاة أحد الولدين أو كلاهما أو كليهما أو عندما يكون هناك طلاق بصفة خاصة. إذ أصبح واضحا لدى جميع الباحثين الاجتماعيين والتربويين وغيرهم أن للطلاق تأثيرا مدمرا على حالة الطفل وعلى أمنه، فهو يؤثر سلبا في نموه. فما يرافق وضعية الطلاق في العادة من صراعات وخصومات، وبالشكل الذي ينتهي به في المحاكم وبالعنف...تجعل الطفل على حداثة سنه، في وضعية مضطربة حيث يفقد المحبة والشعور بالأمن والطمأنينة، ويمكن أن يكون هذا من الأسباب الأساسية لهروبه من هذه الوضعية، أو بكل بساطة في طرده من طرف الكبار. **(الدريج، 1998، صفحة 139)**.

من الأسباب الاجتماعية كذلك، الصراعات داخل الأسرة، وانتشار بعض الأمراض داخلها، وبصفة خاصة، انتشار بعض أشكال الانحراف، فيمكن أن نتصور إذا كان الأب مثلا مدمنا على الخمر والمخدرات، نوع المشاكل التي يمكن أن تنجم عن تعامله مع زوجته، وممارسته العدوانية مع أطفاله التي يمكن لها أن تنتج هذه الظاهرة، فالقسوة المفرطة اجاه الأطفال وضربهم وتعذيبهم.. قد يؤدي إلى هروبهم من الأسرة والمنزل ليستوطنوا في الخارج.

من الأسباب التي يمكن أن تجتمع واضافر وتؤدي لهذه الظاهرة، تفسخ الأسرة وضعف الوازع الروحي والديني، وتفسخ القيم، وهي أخطرها على الطفل، فهو يحاول دائما إلى التقليد وتقمص شخصية أبيه أو أخيه الأكبر، وكذلك عندما تفتقد الأسرة القيم الأخلاقية والعقائد الدينية السليمة أصبح فيها الجريمة والانحراف أمرا عاديا ويصبح الطريق مفتوحا نحو الطفل دون أدنى رادع أخلاقي أو ديني. **(رتيمي ، 2010، صفحة 195).**

فموضوع الأطفال في وضعية صعبة يعد إحدى الإشكاليات الاجتماعية المعقدة التي تتشابك فيها مجموعة من العوامل البنيوية والعلائقية، ومن بينها ظاهرة الأمهات العازبات، إذ تبرز العلاقة السببية والسوسيولوجية بين الظاهرتين من خلال كون الوضعية الغير المستقرة للأمهات العازبات سواء من الناحية القانونية أو الاقتصادية أو الاجتماعية تضع الأطفال المولودين خارج مؤسسة الزواج في وضع هش، يفتقرون فيه إلى الحماية والرعاية والدهم الأسري، مما يجعلهم عرضة للتشرد والعنف والانقطاع عن الدراسة.

إن هذه العلاقة السببية تكشف عن خلل في المنظومة القيمية والاجتماعية، وتطرح الحاجة إلى تدخلات عمومية ومجتمعية تضمن حماية الأم العازبة وطفلها والوقاية من الهشاشة الاجتماعية، **لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة المتعلقة بالأطفال في وضعية صعبة لم تسجل طوال المرحلة الميدانية أية حالة لطفل من أم عازبة، جميع الأطفال المبحوثين ينتمون لأسرهم ومنهم من يتابع دراسته بالمدرسة، ولكن بحكم انتمائهم لأسر فقيرة تهاني من وضعية اقتصادية هشة يضطرون إلى الخروج إلى شوارع المدينة خصوصا السوق الشعبي الأسبوعي، من أجل بيع المناديل والأكياس البلاستيكية، وفي تصورنا يرجع سبب غياب الأطفال من الأمهات العازبات إلى الطبيعة السوسيوثقافية المحافظة التي تتميز بها مدينة جرسيف.**

إن غياب الأسرة، غياب الانتماء إلى أب أو أم أو كلاهما اتخذ مند القديم طابعا قدحيا، يكفي أن نصغي إلى ما يعبر به المجتمع الطفل اللقيط أو المهمل من عبارات الاستهجان والسخرية وأهمها أنه (ولد زنا) وهو وضع لا يتحمل الطفل مسؤوليته.

مرحلة الطفولة ذات اهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد. وذلك لأن فيها توضع البذور الأولى لشخصيته، فعلى أساس ما يتلقى الفرد من خبرات في مرحلة الطفولة يتحدد إطار شخصيته، فإذا كانت تلك الخبرات مواتية وسوية تنتج مواطنا سويا متكيفا مع نفسه ومع المجتمع الذي يحيط به وإن كانت تلك الخبرات مؤلمة مريرة تترك له أضرارا في شخصية.

- **العوامل الاقتصادية:**

نلاحظ في البداية أن الأطفال في وضعية صعبة وخصوصا أطفال العينة التي تم استجوابهم كلهم ذكور بحيث لا يوجد بينهم الإناث، ويفسر الأمر بكون الآليات التي تدفع الأطفال في وضعية صعبة الذكور الخروج مثلا إلى الشارع هي نفس الآليات التي تدفع الإناث للاشتغال في البيوت في سن مبكرة لدى الأسر كخادمات، أو ربما للانحراف، خاصة بالنسبة للحالات التي لا تجد مكانا في مؤسسات الرعاية الاجتماعية.

وبارتكازنا على العديد من الدراسات يمكن اختصار الأسباب في النقط التالية: السبب الرئيسي هو الفقر الذي نتج عنه مجموعة من المعيقات التي تصبح خطيرة جدا، فظروف السكن القاسية، خاصة في الأحياء الهامشية كمدن القصدير، وفي الأحياء حيث السكن غير مرخص والعشوائي، والتي أصبحت تشكل بؤرا وأحزمة تحيط بالمدن الكبرى، وتخنق هذه المدن، يمكن أن نتصور ظروف الحياة داخل هذه الأحياء وداخل مساكنها، حيث انعدام الماء والكهرباء والواد الحار، الأمر الذي يدفع الأطفال إلى الشارع.

إننا نلاحظ لدى أبناء الأسر الفقيرة التي تكون في الغالب أسرا كثيرة العدد، وتعيش بالإضافة إلى ظروف ضيق السكن، تكدسا في هذه المساكن واكتظاظا، وإذا ضفنا إلى ذلك الضجيج والمشاجرات وسوء الغدية والظروف غير الصحية، يمكن لنا أن نتصور كيف تسبب هذه الوضعية في انتشار مثل هذه الظواهر وخروج الأطفال إلى الشارع، وما ينبغي التنبيه إليه، هو أنه ليست بالضرورة نفس الأسباب تؤدي إلى نفس النتائج، فلا ينبغي أن ننظر إلى المسألة نظرة ميكانيكية، ففي كل الأحوال يوجد أكثر من سبب واحد لانتشار هذه الظاهرة إذ تتضافر الأسباب لإحدائها. **(الدريج، 1998، صفحة 138).**

كذلك بالنسبة لمسألة الفقر نشير الدراسة التي أنجزها أحمد بوزيان، بأنه توصل في مناقشته مع عينة (حوالي 203) من الأطفال الشوارع في فاس، إلى أن 16 %من آبائهم يتقاضون أجرا يساوي أو يفوق قليلا السميك أي الحد الأدنى للأجور وهو 1600 درهم في الشهر، في حين 84% من آباء هؤلاء الأطفال يشغلون مهنا غير ثابتة وقارة، ولكنها في جميع الأحوال بأجر زهيد. **(الدريج، 1998، صفحة 139).**

إن للعوامل الاقتصادية التأثير البالغ لانتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة / أطفال الشوارع، وهي الخلاصة والنتيجة الأساسية التي خلصت إليها الدراسة التي قام بها الدكتور محمد مومن حول ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب، التي أكدت على أن النسبة الكبيرة من الأطفال ينتمون إلى أسر يمكن اعتبرها من الطبقة الضعيفة، إذ تعاني من ظروف مادية صعبة، ووضعية اقتصادية غير مستقرة، بحكم أن مهن آبائهم

وأمهاتهم بسيطة وغير محددة، بالضافة إلى الوضعية السيئة للمساكن التي يقطنها هؤلاء الأطفال، وأغلب هذه المساكن متواجدة بضواحي المدن وبجوانبها. حيث اتضح من خلال الدراسة أن هؤلاء الأطفال ضحايا أساليب التنشئة الاجتماعية وظروف اقتصادية ثقافية سيئة تحيط بهم مما يعمق لديهم الإحساس بالحرمان والدفع بهم إلى التشرد والشرع. **(مومن، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، 2010، صفحة 122)**.

هناك سبب آخر مهم جدا ويتعلق باستغلال الأطفال في العمل وهو يرتبط ارتباطا جوهريا بالدول الأكثر فقرا والأقل نموا، التي تعاني الركوض الاقتصادي، والمالي الحاد أو الدول التي تتعرض لمراحل انتقالية كالتغير السياسي أو إعادة الهيكلة، وقد تكون تلك العوامل عميقة الأثر، شديدة التأثير على الأسر الفقيرة سواء كان ذلك الفقر في الموارد والقدرات، وعادة ما تكون تلك الأسر ممن لديها أطفال أو المنتمية إلى جماعات مهمشة اجتماعيا، حيث يزيد عبؤها الاقتصادي وعدم قدرتها على توفير ظروف معيشية أفضل. **(رمزي، وآخرون، 2010، صفحة 21)**.

فالطفل المغربي معرض للاستغلال منذ صغره. فرغم أن الميثاق العالمي لحقوق الطفل يمنع تشغيل الأطفال فإن المغرب يعتبر من بين الدول التي يمارس تشغيل الأطفال والبنات. إن هناك حسب إحصائيات المكتب الدولي للشغل 10 ملايين طفل شغيل في إفريقيا و9 في شرق أسيا و3 في أمريكا اللاتينية و29 في آسيا الوسطى ومليون واحد في الدول المتقدمة ذاتها، وفي المغرب يبلغ مجموع عدد الأطفال الذي يشغلون وعمرهم لا يتعدى 14 سنة 263 ألف من مجموع العاملين في الدكاكين والحرف المختلفة كالميكانيك وغيرها. ولهذا فمن السهل أن نلاحظ فئات من الأطفال تعمل طباعة للجرائد أو للسجائر بالتقسيط وماسحي الأحدية وحملة القفة في الأسواق بينما تعمل الفتيات كمتعلمات في دور الخياطة والطرز ومعامل النسيج والزرابي ومعامل معالجة الحبوب والفواكه بالإضافة إلى المتعلمات الصغيرات في البيوت. **(سبيلا، 2001، صفحة 91)**.

وإذا كانت الأسباب العامة والغير المباشرة التي تساهم في استفحال هذه الظاهرة، فهناك أسباب مباشرة تؤدي بالأطفال إلى الارتماء خارج إطار الأسرة، ومن بينها ما يسمى بالصراع على مهنة الطفل ومدخوله الهزيل، فمادام هناك فقر، وحاجة للأسرة في تشغيل أبنائها وبناتها، فإنه كثير ما يحدث صراع بين الأم والأب على طبيعة العمل الذي سيقوم به الابن، وعلى من سيحصل على أجره والاستفراد به، حتى لو كان هذا الأجر زهيدا، وهذا قد يدفع الطفل إلى الخروج إلى الشارع فرارا من صراع أبويه.

- **العوامل الثقافية والتربوية:**

إنه لمن البداهة القول: إن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي تستغرق تربيته وتنشئته وقتا طويلا قبل أن ينضج جسميا ونفسيا وعقليا. إن فترة رعايته تهيؤه لينخرط في الجماعة ومؤسساتها، وإلى حدود القرن التاسع عشر كانت هناك وجهتان تحتكران مهمة التربية والرعاية وهما: الأسرة والمدرسة فبقدر ما كانت الأسرة تمثل الوسط الطبيعي لتنشئة الفرد وتأهيله، بقدر ما كان الالتحاق بالمدرسة مرحلة من نمو الفرد، داخل أقسامها ينخرط في معارف العصر، ويكون شخصيته، ويمتلك الخبرات التي تؤهله ليأخذ مكانه داخل المجتمع كفرد منتج عاما.

تقوم المدرسة بدور إضافي لكنه هام جدا وهو الحفاظ على تراث المجتمع وتقاليده وقيمه، تدعيما للروابط الاجتماعية بين الأفراد وتماسك بنية الأمة. من هنا يعتبر الدور الرئيسي للمدرسة هو تثبيت النموذج الاجتماعي والحضاري بواسطة مجهود جاد وعلمي، في البحث والتلقين يكتسي اعتماديته من كونه لا يعير التغيرات والظرفيات أدنى أهمية، حتى أصبحت المدرسة الضد المقابل للعمل السريع السطحي المتحول. هذا الوضع الذي عاشته المدرسة وتعيشه، أدى إلى انعزالية مستمرة وانغلاق تام، انعكس ذلك على تطور ها البطيء والحالة أن سرعة التغيرات ضربت رقما قياسيا بفعل الانتصارات العلمية والتكنولوجية، وخاصة على يد وسائل الإعلام وأدوات الاتصال الجماهيرية التي غزت كل بيت، بل اكتسحت المدرسة، ودخلت في اتصال مباشر مع الفرد، مشكلة وسيلة جديدة في وسائل التكوين والحصول على المعرفة والخبرة. **(القباج، 1997، صفحة 62)**.

فبالرغم من التطورات العلمية والتكنولوجية التي ساهمت في الحد من أدوار المدرسة، إلا انها تبقى مؤسسة رسمية ذات كيان مستقل تهدف إلى إعداد أفراد المجتمع للحياة المستقبلية والاسهام الفعال في التقدم المجتمعات وتطويرها، فهي المؤسسة الرسمية التي أنشئها المجتمع وعهد إليها مسؤولية إعداد الأفراد للحياة الاجتماعية، والمدرسة بذلك تكون ذات أهداف مشتقة من فلسفة المجتمع وثقافته وإمكانياته وخططه المستقبلية ومند عهد جون ديوي ينظر إلى المدرسة على أنها مجتمع مصغر بحيث إن ما يدرس في المدرسة من معرف وخبرات ومهارات وما تؤكده عليه من قيم واتجاهات ومعايير يجب أن يكون مرتبطا بالمجتمع الخارجي الذي تعمل فيه. **(ديوي، 1978، صفحة 23)**.

إن الحديث عن أساليب التنشئة الاجتماعية وخاصة الأسرة كان ضروريا وأساسيا نظرا لأدوارها المنتظرة في تدعيم مسارات التنمية والتحديث، وخلق مواطن يتسم بواصفات قيمية وتربية تنسجم مع روح العصر، لذلك فأي اختلال في وظيفتها هو اختلال في الوصول إلى أهدافها، حيث يمكن أن نتصور أن ظاهرة الهدر المدرسي أو التسرب الدراسي تساهم بشكل كبير في انتشار العديد من الظواهر الاجتماعية ومنها ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة. فالهدر المدرسي من أخطر المشاكل التي تواجهها الدول النامية، فالأطفال ضحية الهدر المدرسي ينضمون

إلى فئة العاطلين عن العمل غير المؤهلة لسد حاجيات المجتمع، وخاصة أن أعداد كبيرة منهم يكون لديها الطموح لمواصلة الدراسة لتحسين وضعها الاجتماعي والاقتصادي.

إن الوضع التربوي والثقافي للأسر يدل على خبرتهم بالطرق التربوية التي تساعدهم على فهم أبنائهم وتنمية قدراتهم وبالتالي تنشئتهم تنشئة جيدة، لأن المستوى التعليمي من أقوى المؤشرات المحددة لكفاءة الأسرة المعرفية والتي لها دور في تعديل اتجاهاتها نحو تربية الطفل. إلا أن مسألة الأمية تطرح كتحد حقيقي كذلك في انتشار ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة فكلما ارتفعت معدلات الأمية في مجتمع ما، كلما عان من تخلف اجتماعي واقتصادي وثقافي وسياسي، وبالأعداد الكبيرة من الأميين يستحيل تحسين ظروف أوضاع الفئات العريضة التي تعاني من الفقر والتهميش، والتي غالبا ما لا تكون مؤهلة ومستعدة للقيام بمسؤوليتها التربوية والثقافية والاجتماعية اتجاه أطفالها.

يزداد هذا الأمر أكثر مأساوية مع صعوبات وتدني العملية التعليمية رغم كل الإصلاحات التي جرت وتجري الآن، وهذا يعد من التحديات الأساسية التي تواجه المجتمع المغربي في تطلعاته التنموية، وخاصة فيما يتعلق بالنهوض بطفولته. فقد أثبتت الدراسات العلمية أن الطفل الذي يعيش في جو ومناخ أسري حاصل على مستوى ثقافي لا بأس به، يختلف تمام الاختلاف عن الذي يعيش داخل أسرة تعامي من الحرمان الثقافي، الأول يرى والدين دائمي الاهتمام بالمجال الثقافي والعلمي، مما يدفعه إلى السير على نفس النهج وتصبح بذلك المدرسة والعملية التعليمية مرتبطة بالكبار من خلال المحاكاة. أما أبناء الفئة المحرومة ثقافيا فهم لا يتوقعون مستقبلا من خلال الدراسة لأن أهلهم لا مستقبل لهم في نهاية الأمر. **(مومن، ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية، 2010، صفحة 127)**. وهناك مسألة أساسية في هذا الإطار يتعين الوقوف عندها وتتمثل في كون التربية التقليدية المغربية من حيث هي جزء من نسق القيم السائدة، تربية سلطوية تراتبية تحد من روح المبادرة والاستقلال الشخصي وتحد من الثقة في النفس، رغم أن اليوم هذه التربية تفسح المجال تدريجيا أمام تربية جديدة قائمة على التفهم: تفهم نفسية الطفل وتلبية رغباته ومراعاة دوقه واختياراته.

وأظن أنه لا بأس من التوقف مجددا عند دراسة أحمد بوزيان حول موضوع أطفال الشوارع بمدينة فاس، والتي تشير إلى أن 50% من أطفال الشوارع لم يستفيدوا من شكل من أشكال التمدرس، لا في الكتاب القرآني (المسيد)، ولا في الدارسة الابتدائية العمومية، كما يتوقف التعليم بالنسبة ل 35% على عتبة السنة الرابعة أساسي، وطردوا من المدرسة قبل أن تترسخ لديهم الكتابة والقراءة بشكل جيد، مما يهددهم بالعودة إلى الأمية، فحسب هذه الدراسة 80% من الأطفال في وضعية صعبة /أطفال الشوارع أميون. **(الدريج، 1998، صفحة 140)**.

فالوضع الثقافي و التعليمي يؤثر في تنشئة الأطفال وتربيتهم فنجد مثلا نظرة الوصم الاجتماعي التي ينظر إليها المجتمع لفئة الأطفال في وضعية صعبة/ أطفال الشوارع مثلا، تساهم هذه النظرة الدونية في استفحال هذه الظاهرة وانتشارها، هذه النظرة التي تتمثل في عدة ممارسات، منها تجنيب أطفالهم منهم، وظهور الناس خائفين منهم، ومحاولة سحب الآباء أطفالهم إذا ما اقتربوا أو واجهوا أطفال الشوارع، كل ذلك يعزز تلك الوصمة التي يلصقها المجتمع بالأطفال الذين لا مأوى لهم، تشعر ردود الفعل هذه الفئة الذين يعيشون في الشارع بعدم قبول المجتمع لهم، وفي بعض الحالات يلقون عليهم اللوم في السرقات البسيطة وتعاطي الكحول. **(Makofane, 2014)**.

ويمكن كذلك إضافة الصورة العامة المرسومة للطفل المغربي من خلال بعض الأمثال الشعبية لأن: " الأفكار والصور والتمثلات المرتبطة بالطفل في أي مجتمع من المجتمعات تنظم وفق نسق من التمثلات الجمعية"، لتشكل خطابا متعدد الأبعاد، تتولد عنه لغة عن الطفل، تفرض عليه تصورات معينة يعامل على أساسها. وقد ينوء تحت ثقلها إذ لم تكن صورا سليمة وصحيحة عنه. **(أوزي، 1988، صفحة 5)**.

فالأمثال الشعبية تكون بالضرورة حاملة لوعي مجتمعي، فهي تعبير عن فكر المجتمع وهذا ما عبر عنه الدكتور جان تاتان .J.J Tatin بقوله " أن المثل الشعبي ليس بداية لكنه خاتمة، إنه الختم البارز الذي يضفي على الأفكار طبيعة التجربة" ويضيف قائلا " إن الأمثال الشعبية وليدة الزمن والتجربة، ويصنع منها العديد كل يوم. فمختلف الفرص والتجارب المتجددة باستمرار تنتجها" **(TATIN, 1983, p. 24)**. ومن هذا الباب يصرح الشرادي والقباج " أنه لا يمكن إيجاد أفصح من الأمثال الشعبية لتحدثنا عن روح الشعوب" **(CHERRADI & KEBBAJ, 1981)**.

فمن خلال مجموعة الأمثال الشعبية يتبن لنا أسلوب معاملة الطفل داخل بعض الأسر، خاصة الطفلة لأنها محط شرف العائلة ومحط مخاوف جلب العار على العائلة فالمثل القائل " ربط تصيب ما تطلق" يشكل مبدأ في تربية البنات في مجتمعنا. فالأسرة كيفما كان وضعها الاقتصادي والاجتماعي، تميل إلى معاملة الطفلة بأسلوب الجمود، وقد فسرت هذه النتيجة بكون الأسر ما تزال أسيرة النظرة التقليدية المرتبطة بطبيعة الفروق بين الجنسين والتي ترى أن الأنثى محط الشرف والعار.

وسواء كان الطفل ذكرا أم أنثى فإنه يعتبر في نظر الثقافة الشعبية كائنا غير عاقل وغير قادر على إبداء رأي صائب في مشاكل الحياة اليومية. وهذا يعني أن الكبار يعتبرون أنفسهم فوق كل خطأ وأن الطفل ليس في استطاعته أن يفكر تفكيرا سليما ويبدي رأيا صائبا، إذ لا يأخذ برأيه حتى يصبح شابا، فالطفل قد يشكل مجالا لإفراغ كبت الآباء في بعض الأحيان فكثيرا ما يحاول الأباء تحقيق ذاتهم من خلال أبنائهم دون اعتبار للنمو الطبيعي لذلك الكائن الحي الذي يحرم من تحقيق حاجاته الأساسية للتوافق النفسي ولنضج شخصيتها وتفتحها. وهذا ما قد يجعل الطفل لا يتحمل هذه الوضعية ويهرب من الأسرة لمكان يستطيع أن يعبر فيه عن رغباته وحاجياته بكل استقلالية وحرية تامة.

استنتاج

إن التربية القمعية والزجرية التي كان الطفل يتلقاها من ابيه أو معلمه والتي أدانها ابن خلدون في القرن الرابع عشر قائلا " فينبغي للمعلم في متعلمه والوالد في ولده أي لا يستبدوا عليهم في التأديب" أخذت تضمحل تدريجيا تحت تأثير قيم العصر كما أن التربية الأسطورية أي عن طريق تخويف الطفل لم تعد متداولة بفعل تأثير قدر من العقلانية والروح الواقعية وتقدم الأفكار التربوية الحديثة القائمة على فكرة الحرية. لقد بدأت ثورة الطفل في أوربا في القرن 19 حيث نمى الوعي بأن الطفل ليس مجرد صفحة بيضاء، لقد أصبح الطفل في التصور العصري كائنا يتمتع بشخصية مستقلة وبقدرة على الفهم وبذكاء كامل.

لكن رغم هذا التحول الهام في أساليب التربية الحديثة، أخشى ما يخشاه كل المهتمين بشؤون الأسرة والتربية أن تؤدي الأوضاع الراهنة اجتماعيا واقتصاديا وتربويا وثقافيا إلى إضعاف خلية الأسرة الأساسية والقديمة قدم التاريخ. إن هذا الاضعاف لن ينعكس فقط على الطفل والمراهق فحسب، بل على المجتمع كله ما دامت الأسرة هي ذاكرة المجتمع التي تخزن هويته وقيمة، وتحافظ على بقاء واستمرار هذه القيم وتلك الهوية. إضعاف الأسرة سيزيد من ظاهرة الطفال في وضعية صعبة والتي تسفر عن اختلالات لا يعرف مداها أحد.

المبحث الثاني- الإطار الميداني

تحليل المعطيات الميدانية "أسباب وعوامل ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة"

سنحاول في هذا الجانب الميداني من الدراسة جرد العوامل والأسباب التي تساهم في انتشار الأطفال في وضعية صعبة، بناء على المعطيات الميدانية التي توصلنا إليها من خلال تقنية الاستمارة التي تم ملؤها للمبحوثين من الأطفال التي أجريناها مع عينة تتكون من 37 طفلا بمدينة جرسيف، حيث تم التركيز على المتغيرات التالية:

- ✓ الأسباب والعوامل الاجتماعية (المستوى الاجتماعي للأسرة)
- ✓ الأسباب والعوامل الاقتصادية (المستوى الاقتصادي للأسرة)
- ✓ الأسباب والعوامل الثقافية (المستوى الثقافي للأسرة)

إن ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة لم تأت اعتباطا، بل لها أسبابها ودواعيها كغيرها من الظواهر الكثيرة في المجتمع، وقد بذلت جهود كثيرة بغية تحديدها لكنها لم تفلح، لعدم اتفاقها على حصر دوافع وأسباب معينة، مع العلم أن معرفة تلك الأسباب غاية في الأهمية، لأن معرفة السبب تحدد نوع العلاج، فلا علاج إلا بعد التشخيص، ولا تشخيص إلا ببيان السبب أو الأسباب، وبالرجوع إلى الدراسات الميدانية والبحوث النظرية التي أنجزت عن الأطفال في وضعية صعبة نجدها تميل إلى إجماع على ربط الظاهرة بالتحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي عرفتها هذه البلدان، مع ما يرتبط بها من خصوصيات. وللوقوف على مدى إسهام هذه العوامل في انتشار هذه الظاهرة وجدنا من المفيد القيام ببحث ميداني بمدينة جرسيف المغرب على عينة من الأطفال في وضعية صعبة شملت 37 طفلا. حيث ركزنا على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للأسر التي ينتمي إليها الأطفال المبحوثين.

1- توزيع الأطفال حسب السن والجنس

الجدول رقم 1: توزيع الأطفال حسب السن والجنس

السن	عدد الأطفال			
	الذكور	النسبة%	الإناث	النسبة%
9-5 سنة	1	%2,70	00	00
14-10 سنة	24	%64,86	00	00
18-15 سنة	12	%32,43	00	00
المجموع	37	%100	00	%100

يتبين من خلال هذا الجدول أن الأطفال الذين تمت مقابلتهم بمدينة جرسيف، ينحصر سنهم ما بين 9 سنوات وتمثل السن الأصغر، و18 سنة لمن هم أكبر سنا. ونستشف من خلال هذا الجدول كذلك أن الفئة العمرية ما بين 10 و14 سنة تشكل أعلى نسبة حيث تصل (64,86%)، ثم تليها الفئة العمرية ما بين 15 و18 سنة بنسبة (32,43%) والفئة العمرية الأخيرة (5-9) تشكل نسبة (2,70%).

والملاحظة الأساسية التي تبرز من خلال الجدول، أن هذه الظاهرة منحصرة فقط في مجال الأطفال كفئة ذكورية. فمن خلال الدراسة التي قمنا بها لم نصادف اية حالة لطفلة في وضعية صعبة في الشارع، والسبب في ذلك راجع لخصوصيات سوسيوثقافية يتميز بها إقليم جرسيف ترتكز أساسا على التضامن والتكافل مما يجعل ظاهرة الطفلات في وضعية صعبة غائبة.

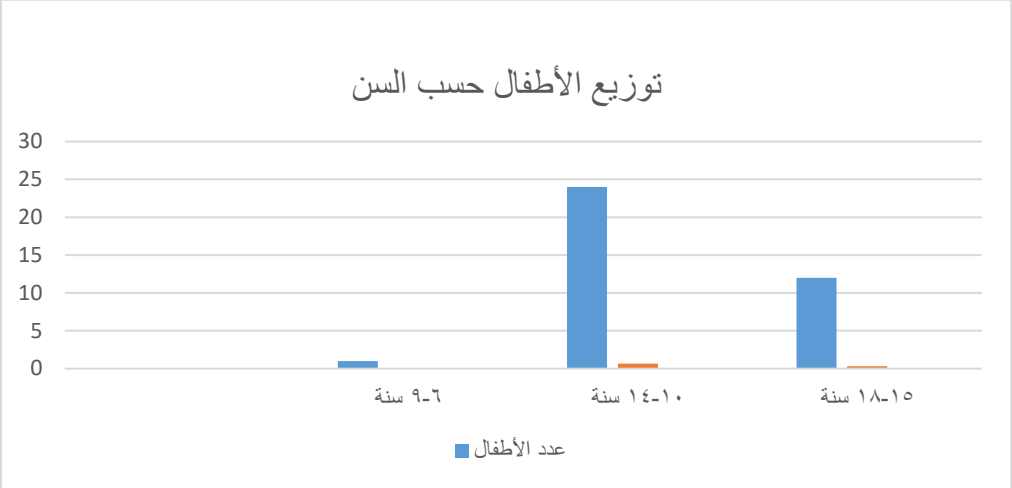

2- توزيع أطفال في وضعية صعبة حسب المستوى التعليمي

الجدول رقم 2: الأطفال في وضعية صعبة حسب المستوى التعليمي

الوضع التعليمي	عدد الأطفال	النسبة%
الابتدائي	**13**	**%35,13**
إعدادي	**08**	**%21,62**
غير متمدرس	**00**	**%00**
منقطع	**16**	**25%43,**
المجموع	**37**	**%100**

بناء على معطيات الجدول أعلاه والذي يمثل المستوى التعليمي للأطفال في وضعية صعبة، أن الأغلبية من الأطفال الذين تمت مقابلتهم منقطعون عن الدراسة بنسبة (43,25 %)، في حين شكت نسبة (35,13%) بالنسبة للأطفال المتمدرسين مع غياب تام لأي مستوى ثانوي، بينما نسبة (21,62%) من الأطفال المبحوثين هم الذين تمكنوا من ولوج السلك الاعدادي.

يرجع سبب كثرة الأطفال المنقطعين عن الدراسة إلى الهدر المدرسي الذي يعتبر آفة تؤثر على مجتمعنا، حيث أظهرت دراسة من طرف المجلس الأعلى للتعليم سنة 2008 أن التلاميذ الذين ينقطعون عن الدراسة بعد أربع سنوات يؤولون إلى الأمية، مما يشكل استنزافا للموارد البشرية والمادية للبلاد، بالإضافة إلى الأسباب الاقتصادية المتمثلة في الفقر وضعف الموارد المالية للتكفل بدراسة الأبناء، سوء الأحوال الاقتصادية للأسرة، والمتمثل في الفقر وعجز تلك الأسر عن تلبية الحاجات الأساسية من مستلزمات التمدرس والمصاريف المتزايدة للتلميذ. هذا فضلا عن العوامل الاجتماعية والثقافية التي تساهم في انقطاع الأطفال عن الدراسة (الزواج المبكر، أمية الآباء، غياب علاقات التواصل مع الأسرة...).

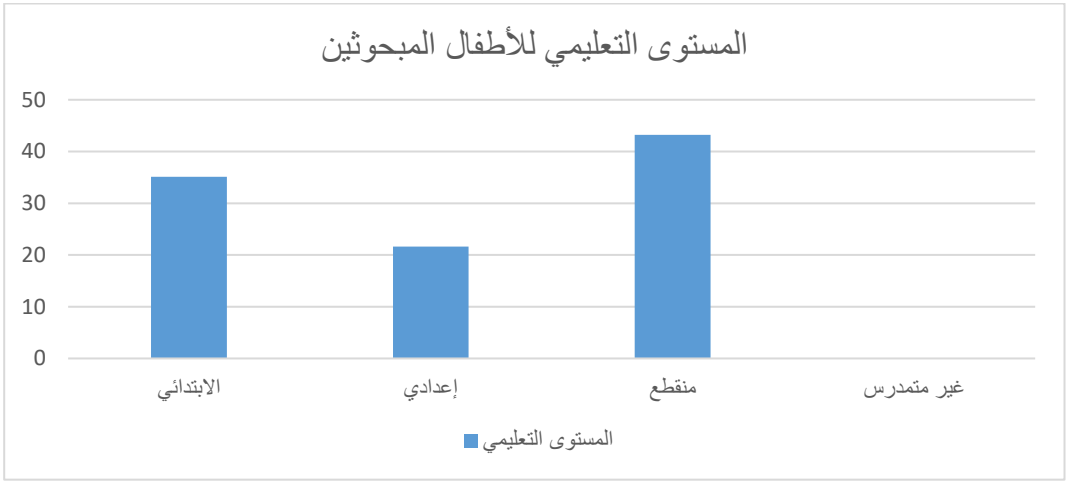

1- الأسباب والعوامل الاجتماعية (المستوى الاجتماعية للأسرة)

جدول رقم 3: توزيع الأطفال المبحوثين حسب مدى توفرهم على الأسرة.

مدى توفرهم على الأسرة	عدد الأطفال	النسبة%
موجودة	35	%94,60
غير موجودة	02	%5,40
غير محدد	00	%00
المجموع	37	%100

إن للأسرة مكانة بارزة في المجتمع فهي الركن الأساس في كيان المجتمع الحديث وهي توسع أفكار الفرد وتدفعه نحو العمل والتقدم بعد أن تمنحه التنشئة الاجتماعية التي يحتاجها، فالأسرة تربي في الطفل مشاعر المودة والتعاون وقيمة العمل، فالأطفال الذين انحرفوا إلى طريق الاجرام والسلوك المنحرف فهم من أولئك الذين حرموا من دفء الأسرة وحرموا من قيم الحياة الأسرية أو وجدوا في جو أسرة منحرفة أو مفككة.

وبالرجوع إلى الجدول أعلاه يبدو أن 35 طفلا من أصل 37 مستجوبا يتوفرون على أسرة، إذ تصل نسبتهم إلى (94,60%)، ثم تليها في الدرجة الثانية نسبة (5,40%) لا أسر لهم وهي نسب قليلة جدا.

وما يمكن استنتاجه هو أن النسبة الكبيرة من هؤلاء الأطفال يعيشون وسط أسرهم، لكن يخرجون إلى الشارع لبيع الأكياس لبلاستيكية والمناديل. ويمكن إرجاع السبب في ذلك للظروف الاقتصادية الهشة وتدني مستوى المعيشة، والعجز عن تأمين الاحتياجات الأساسية للأطفال، مما يؤدي إلى دفعهم إلى الشارع للعمل والمساهمة في إعالة العائلة.

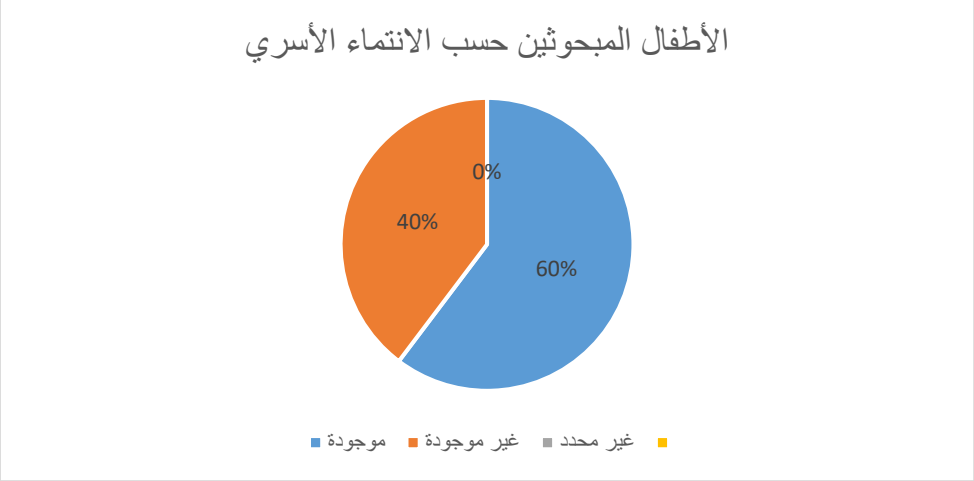

جدول رقم 04: توزيع الأطفال المبحوثين حسب الأصل الجغرافي للأسرة.

مجال السكن	عدد الأطفال	النسبة%
حضري	32	%86,49
قروي	05	%13,51
المجموع	37	%100

يقدم مجال السكن أو المحيط الاجتماعي الثقافة الحاملة للأفكار والعادات والسلوكيات التي يتقاسمها أفراده، وتنعكس هذه الأفكار على تربية الطفل وتؤثر عليه وعلى طريقة تفكيره، وليس هذا فحسب بل على الأساليب المتبعة لتربية الطفل من قبل الأهل، فترتبط تربية الطفل بشكل كبير بالمجتمع الذي يعيش فيه. لذلك فالمحيط الاجتماعي يلعب دورا أساسيا في عملية التنشئة الاجتماعية للطفل، باعتباره يشكل نموذجا اجتماعيا، يعكس أشكال العلاقات والتصورات السائدة في المجتمع ككل.

وباعتمادنا على الجدول المشار إليه أعلاه، والذي يعطينا فكرة عن نوعية الوسط الاجتماعي الذي نشأ فيه هؤلاء الأطفال يتبين أن نسبة الأطفال في وضعية صعبة بجرسيف تنتمي أكثر إلى الأوساط الحضرية، وذلك بنسبة (86,49%)، أما نسبة الأطفال القرويين لا تمثل إلا (13,51%).

وتفسير هذه الأرقام، قد يعود إلى زيادة معدلات الهجرة القروية، واستقرار الأسر المهاجرة في مناطق عشوائية لا تتوافر فيها الخدمات والمرافق الأساسية، وهي ظاهرة أصبحت بارزة في عدد من المدن المغربية، ومنها جرسيف، وتكون سببا في تفاقم ظاهرة الأطفال في وضعية صعبة.

حيث تشير نتائج الكثير من الدراسات عن الأطفال في وضعية صعبة إلى أن هذه الظاهرة قد ارتبطت بالمناطق الحضرية دون القروية، وأن عامل النمو الحضري غير المخطط يعد عاملا مهما وأساسيا في انتشار هذه الظاهرة.

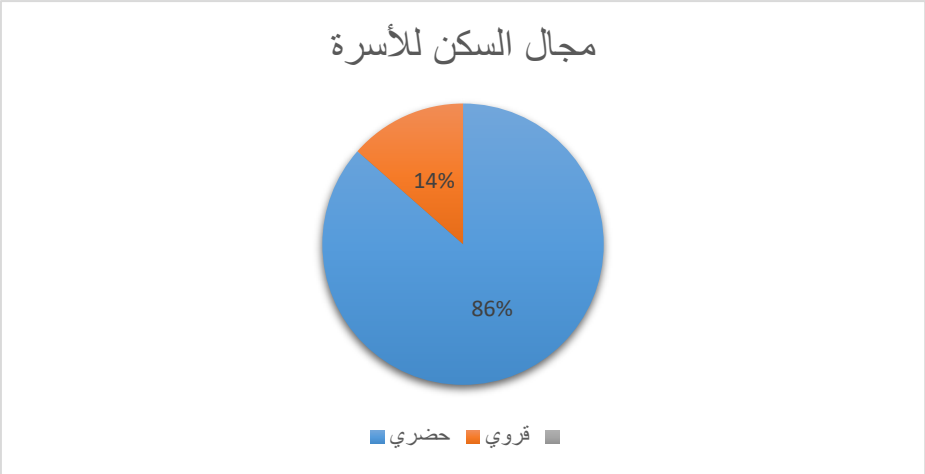

جدول رقم 05: توزيع الأطفال المبحوثين حسب وضعية أسرهم.

وضعية الأسرة	عدد الأطفال	النسبة%
أسرة قائمة	**34**	**%91,90**
أسرة مطلقة	**02**	**%5,40**
أسرة مفككة	**01**	**%2,70**
المجموع	**37**	**%100**

يبين الجدول المشار إليه أعلاه، الحالة الأسرية للأبوين، ويشير إلى أن أعلى نسبة من هؤلاء الأطفال ينتمون إلى أسر قائمة، وتشكل هذه النسبة (91,90%)، وتأتي في المرتبة الثانية الأسر المطلقة بنسبة (5,40%)، ثم تليها الأسر المفككة بنسبة (2,70%) من أسر العينة. والجدول يمكننا من إعطاء نظرة على بعض العناصر المفسرة للظاهرة والأسباب الأسرية المتصدعة والمفككة التي تدفع بأطفالها إلى مغادرة الأسرة.

وما يمكن استنتاجه من هذه المعطيات هو أن التفكك الأسري قائم لدى غالبية المبحوثين، على الرغم من وجود أركان الأسرة، وأن أغلب المبحوثين صرحوا على أنهم ينتمون لأسرهم، وأن الظروف والأوضاع الأسرية تلعب دورا مهما وأساسيا في التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها الأبناء.

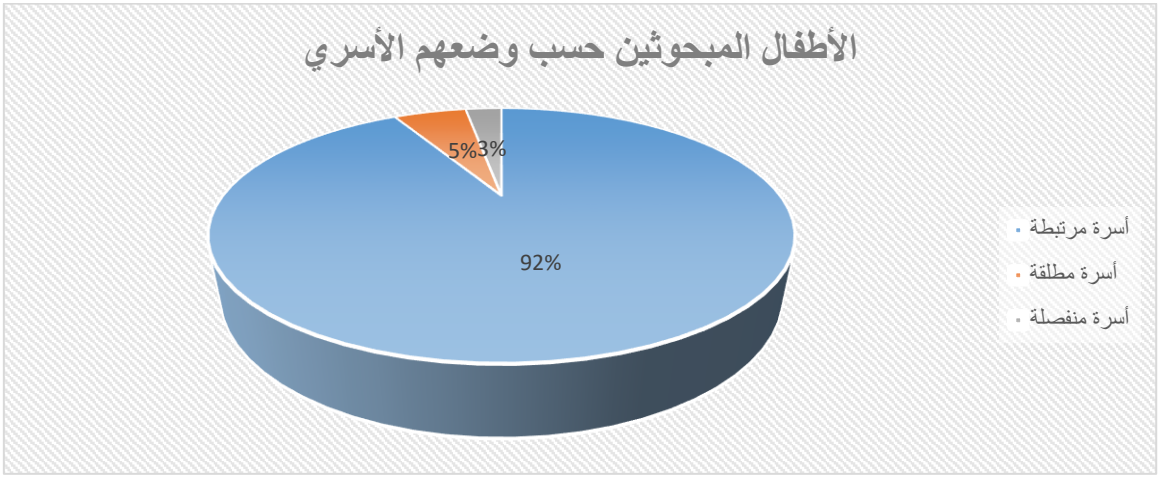

2- الأسباب والعوامل الاقتصادية (المستوى الاقتصادي للأسرة)

جدول رقم 06: توزيع الأطفال المبحوثين حسب المستوى المعيشي للأسرة.

الآباء			الأمهات		
المهن	العدد	النسبة %	المهن	العدد	النسبة %
مهن بسيطة	25	%67,56	بدون مهنة	30	08%81,
مهن غير محددة	09	33%24,	منظفة	04	%10,81
عاطل	03	11%8,	عاملة	03	11%8,
المجموع	37	%100	المجموع	37	%100

تعد الأوضاع الاقتصادية في كثير من المجتمعات مسؤولة إلى حد كبير عن الأزمات الأسرية فالفقر والبطالة يؤديان إلى نقص الموارد المادية للأسرة ما يخلق لها أزمات أسرية تسبب لأفرادها القلق والخوف، حيث تشير العديد من الدراسات إلى أن العامل الاقتصادي يعد مسؤولا عن بعض أنواع الانحرافات السلوكية، ما يتسبب في نشوء أزمات. وقد تضطر الأسرة الفقيرة بسبب انخفاض مستواها الاقتصادي إلى تشغيل الأطفال في سن مبكرة، الأمر الذي يحرمهم من فرص التعليم ويعرضهم لعوامل الانحراف في المجتمع.

ويبدو لنا جليا من هذا الجدول أن 25 طفلا من أصل 37 مستجوبا مهن آبائهم في مجملها بسيطة، وتصل نسبتهم (67,56%)، وتأتي في الدرجة الثانية نسبة (24,33 %) من الأطفال مهن آبائهم غير محددة، وتأتي في الدرجة الثالثة نسبة (8,11%) من الأطفال أباؤهم عاطلون.

أما بالمسبة للأمهات وجدنا أن 30 طفلا أمهاتهم بدون مهنة (ربات بيوت) وتمثل هذه النسبة (81,1%) وهي أعلى نسبة مائوية بالمسبة للأمهات، وتليها في المرتبة الثانية نسبة (10,81%) من الأمهات يشتغلن كمنظفات، وفي المرتبة الثالثة نسبة (8,11%) من الأمهات غير محددة.

والملاحظة الأساسية التي تبرز لنا من خلال هذا الجدول أن النسبة الكبيرة من الأطفال المبحوثين ينتمون إلى أسر يمكن اعتبارها من الطبقة الفقيرة، إذ تعاني من ظروف مادية صعبة، ووضعية اقتصادية هشة. إذ أن الكثير من الأسر يرون في إرسال أطفالهم للعمل طريقة للحصول على المال لتأمين متطلبات الحياة والتخلص من الفقر، وهذا له تأثير على التنشئة الاجتماعية للأبناء، بحيث يكون هذا الوضع سببا في الانقطاع ومغادرة المدرسة مبكرا.

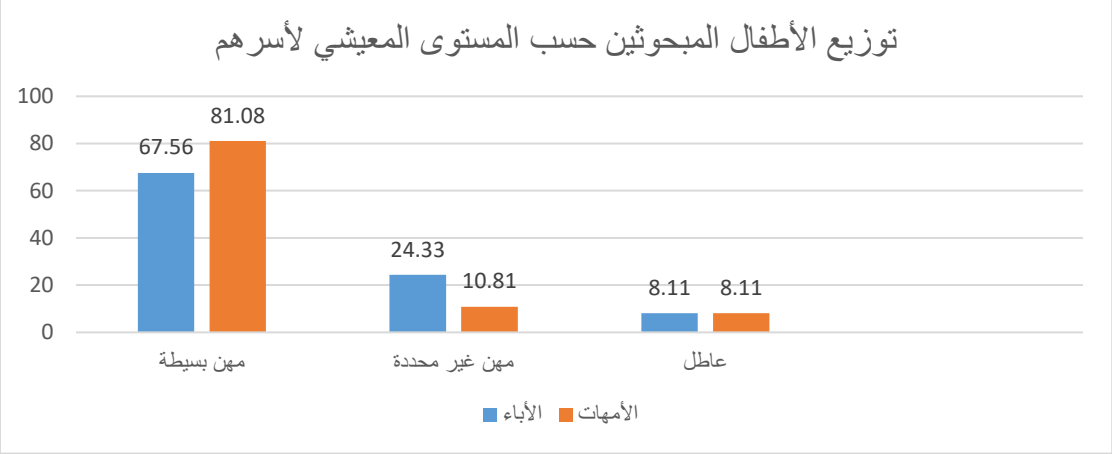

جدول رقم 07: توزيع الأطفال المبحوثين حسب من ينفق على الأسرة.

الشخص الذي ينفق على الأسرة	عدد الأطفال	النسبة%
الأب	33	%89,19
الأم	03	%8,11
آخر	01	%2,70
المجموع	37	%100

موضوع هذا الجدول يتعلق بتصنيف الأطفال المستجوبين حسب من ينفق على الأسرة، والنفقة هي توفير حاجيات الأسرة من أكل وملبس، وهي غالبا ما يتولاها الأب حيث يعتبر المعيل للأسرة عادة.

ونلاحظ من خلال هذا الجدول أن 33 طفلا من أصل 37 مستجوبا معيلهم هو الأب، إذ تصل نسبتهم إلى (89,19%)، تليها نسبة (8,11%) تتكفل الأم بنفقتهم، في حين نجد في الدرجة الثالثة أن نسبة (2,70%) يعيلهم أشخاص آخرون.

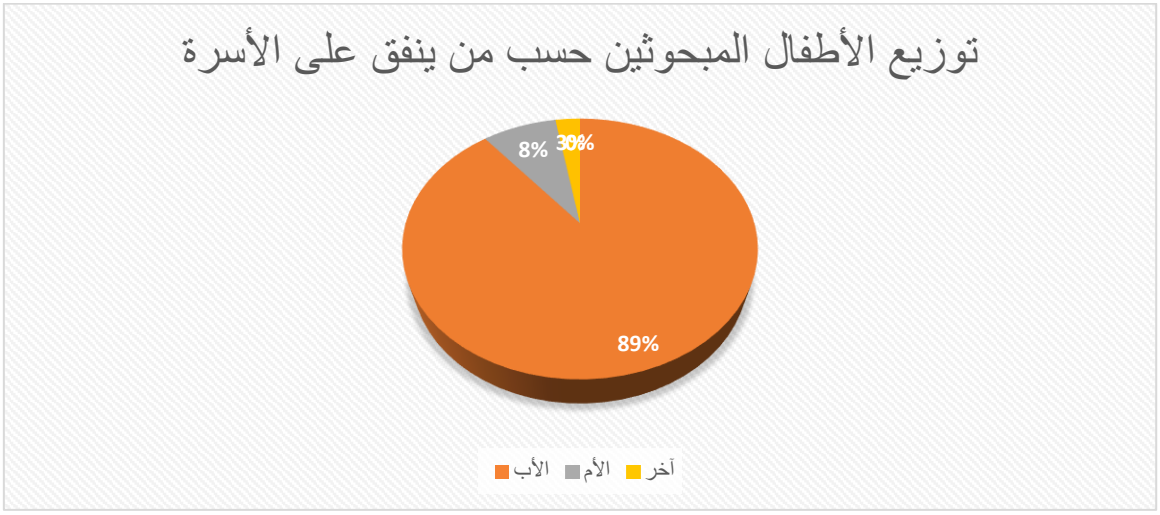

جدول رقم 08: توزيع الأطفال المبحوثين حسب نوعية السكن الذي يقطنون فيه.

نوعية السكن الأصلي	عدد الأطفال	النسبة%
منزل تقليدي	**14**	**%37,83**
شقة	**08**	**%21,62**
مرآب	**12**	**%32,43**
منزل قصديري	**03**	**%8,12**
المجموع	**37**	**%100**

لا شك أن الإقامة في بيئة عشوائية فقيرة، تولد أنماط سلوكية تتوافق مع المظاهر السائدة في هذه البيئة، التي تتفاقم فيها الأوضاع المتردية من الناحية الصحية والتعليمية والأخلاقية..فهناك علاقة بين الفقر والسكن العشوائي، كما أن هذه الأحياء تؤثر على التنشئة السليمة للطفل حيث يخلق لديه حاجز نفسي يجعله أقل قدرة على النجاح.

يتجلى من خلال المعطيات الواردة في الجدول أعلاه وحسب عينة الدراسة فإن نوعية السكن للأطفال كانت حسب التالي:

- 14 طفلا من أصل 37 مستجوب يسكنون في منزل تقليدي وتصل نسبتهم (37,83%) وهي أعلى نسبة مائوية.
- 12 طفلا من نفس العدد المستجوب يستقرون ب " مرآب" بنسبة (32,43%) وتشكل المرتبة الثانية.
- 08 أطفال من أصلا 37 طفلا يسكنون بشقة وتصل نسبتهم (21,62%).
- 03 أطفال من مجموع عدد المستجوبين يستقرون منزل قصديري بنسبة (8,12%).

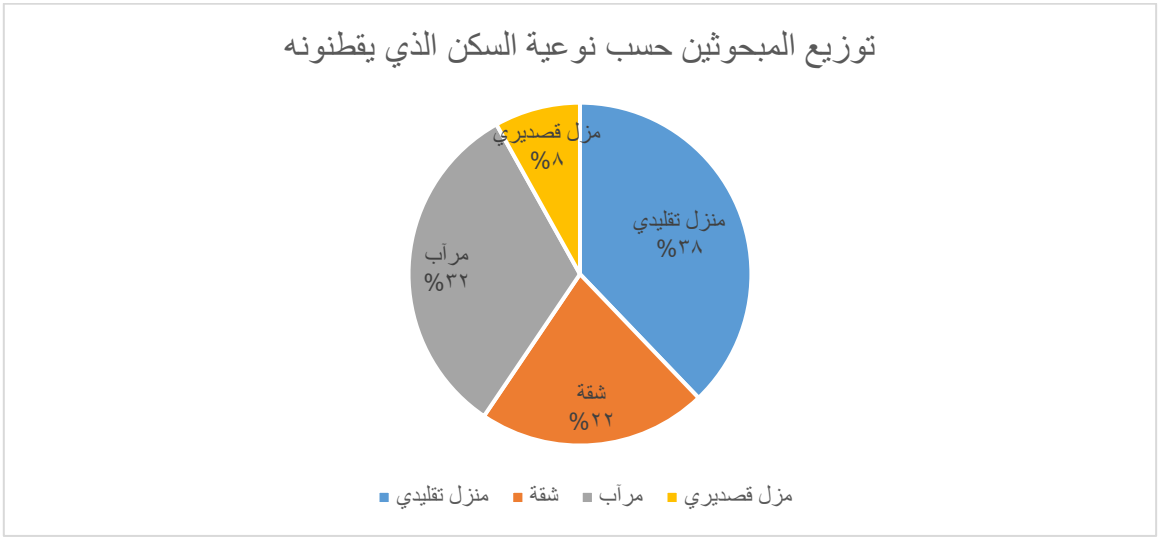

3- الأسباب والعوامل الثقافية: (المستوى الثقافي للأسرة)

جدول رقم 09: توزيع الأطفال المبحوثين حسب الوضع الثقافي لأسرهم

المستوى الدراسي للوالدين	الآباء		الأمهات	
	العدد	النسبة%	العدد	النسبة%
غير متعلم	30	%81,09	33	%89,19
متعلم	07	%18,91	04	%10,81
المجموع	37	%100	37	%100

إن المستوى التعليمي للأسرة يؤثر على اتجاه الطفل نحو الدراسة واهتماماته بالمعرفة وبالاطلاع والتحصيل، فالأمية ظاهرة من ظواهر التخلف الاجتماعي، ومشكلة انتشارها في أي مجتمع تعتبر مشكلة مزمنة وشائكة لها انعكاسات واضحة على مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، لأنها تشكل خطرا حقيقيا على مسيرة البناء التنموي للمجتمع، فقد أثبتت الدراسات العلمية، أن الطفل الذي يعيش في جو ومناخ أسري حاصل على مستوى ثقافي لا بأس به، يختلف تمام الاختلاف عن الذي يعيش داخل أسرة تعاني من الحرمان الثقافي.

يوضح الجدول السابق الحالة التعليمية للأبوين حيث نلاحظ أن نسبة الأمية المسجلة لدى الآباء وأمهات هؤلاء الأطفال كبيرة جدا. فبالنسبة لآباء هؤلاء الأطفال يصل معدل الأمية إلى (81,09%)، وبالنسبة للأمهات يصل معدل الأمية في صفوفهن (89,19%)، في حين أن نسبة (18,91%) فقط من الآباء ونسبة (10,81%) من الأمهات لهم ولهن مستوى دراسي محدود. وهذا يوضح أن مستوى التعليم متدن عند الأبوين وهذا ما يفسر دفع بعض الأسر أبنائها إلى الشارع بدلا من إرسالهم إلى المدرسة.

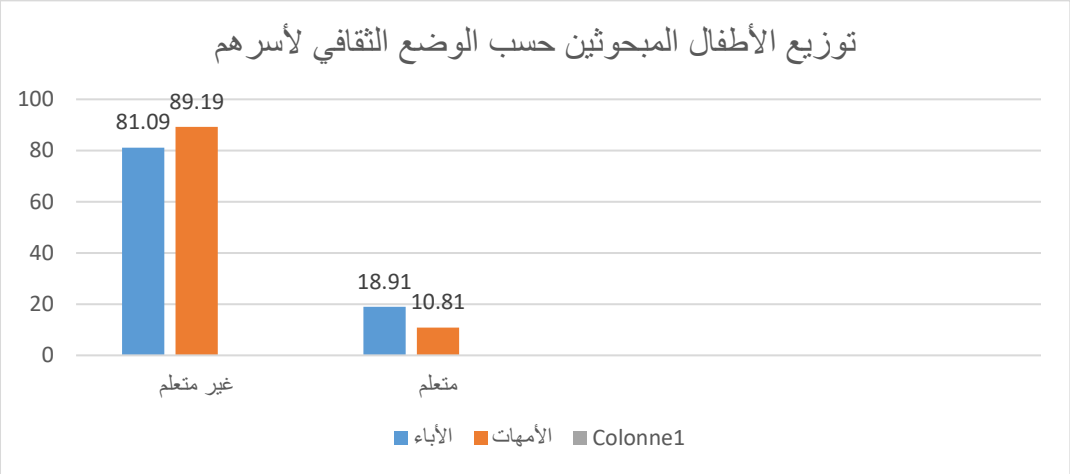

خلاصات واستنتاجات

من خلال الدراسة التي قمنا بها حول موضوع الأطفال في وضعية صعبة بمدينة جرسيف سجلنا الاستنتاجات التالية:

- قلة المراكز المخصصة للإيواء الأطفال في وضعية صعبة؛
- ضعف الجمعيات المهتمة بقضايا الطفولة في وضعية صعبة؛
- الاكتظاظ داخل المؤسسات الداخلية؛
- قلة الموارد البشرية المختصة في مجال حماية الطفولة؛
- مشاكل تتعلق بتسجيل الأطفال في وضعية صعبة في سجلات الحالة المدنية؛
- غياب مركز حماية الطفولة؛
- نقص المرافق الرياضية والثقافية للشباب؛
- الانقطاع عن الدراسة بالنسبة للأطفال في وضعية صعبة كان لأسباب الاقتصادية المتمثلة في الفقر وضعف الموارد المالية للتكفل بدراسة الأبناء، وقلة الرقابة الأسرية في البيت بسبب الأمية في صفوف الوالدين مما يخلق نوع من الفراغ داخل الأسرة؛
- النسبة الكبيرة من الأطفال المستجوبين ينتمون إلى أسر تعاني من ظروف مادية صعبة، ووضعية اقتصادية غير مستقرة، بحكم أن مهن أباءهم وأمهاتهم بسيطة وغير محددة؛ فتأثر الطفل بالمستوى المعيشي لأسرته وعدم القدرة على توفير حاجياته هو ما يدفع به إلى بيع الأكياس لبلاستيكية والمناديل في شوارع المدينة من أجل تغطية متطلباته البسيطة، فالطفل يصطدم بالظروف المعيشية الصعبة، فحتى الطفل في ظل المتغيرات الاجتماعية والتي مست كل الأنساق بما فيها الأسرة أصبح ضحية لذلك؛
- الوضعية السيئة للمساكن التي يقطنها هؤلاء الأطفال، أغلب هذه المساكن متواجدة بضواحي المدينة؛

- التفكك الأسري قائم لدى نسبة مهمة من المبحوثين من الأطفال على الرغم من وجود أركان الأسرة بالنسبة لبعض المبحوثين؛ فالتفكك الأسري اتخذناه كمؤشر نستخلص منه طبيعة العلاقة بينه وبين هروب الطفل إلى الشارع لانعدام الراحة في المنزل؛
- الوضع الثقافي لأسر الأطفال جد متدني بسبب نسبة الأمية المهولة المسجلة لدى آباء وأمهات الأطفال (81,09%) بالنسبة للآباء (89,19%) بالنسبة للأمهات.

التوصيات:

تقترح هذه الدراسة الخاصة بالأطفال في وضعية صعبة بمدينة جرسيف جملة من التوصيات الضرورية نجملها فيما يلي:

- ✓ توفير موارد بشرية مختصة في مجال حماية الطفولة (مربي، اخصائي نفسي، اخصائي اجتماعي..)
- ✓ إحداث مراكز للتدرج المهني للأطفال في وضعية صعبة؛
- ✓ تنظيم لقاءات إقليمية وجهوية مع كل الفاعلين في مجال حماية الطفولة؛
- ✓ تبسيط مساطر الكفالة وتتبع الاطفال المتخلى عنهم؛
- ✓ احداث ملاعب القرب ودور الشباب؛
- ✓ بلوة دورات تكوينية لتطوير المهارات والمكتسبات وتجويد أداء فريق التدخل أثناء عملية التكفل بالطفل؛
- ✓ إحداث إطار مرجعي لمهن العمل الاجتماعي؛
- ✓ تعزيز التنسيق والالتقائية بين كافة المتدخلين في مجال الطفولة على المستوي الإقليمي؛
- ✓ إحداث وتشجيع الجمعيات للاهتمام بالأطفال في وضعية صعبة؛
- ✓ توحيد أساليب عمل الجمعيات العاملة في مجال حماية الطفولة؛
- ✓ العمل ما أمكن على إشراك الأسرة في جميع الخطوات وجميع التدابير المتخذة وخلق قنوات اتصال مستمرة معها في هذا الباب؛
- ✓ تفعيل دور وسائل الاعلام ومكونات المجتمع المدني بالتحسيس بخطورة الظاهرة ليس على الطفل فقط ولكن على المجتمع؛

خلاصة:

إن مسألة النهوض بقضايا الأطفال في وضعية صعبة تستوجب إشراك جميع الفاعلين، بما في ذلك الطفل المتضرر نفسه، فهي ليست مسؤولية قطاعية معينة، بل هي عمل جماعي ينجز بالتعاون والتشارك والحوار وتضافر كل الفعاليات المعينة، من أجل تعزيز التدابير العملية للحد من هذه الظاهرة. فظاهرة الأطفال في وضعية صعبة تتطلب دراسة معمقة وخطوات منسقة من أجل الكشف عن ملابسات تفشيها في المجتمع، ولقد مكنت بعض الدراسات الحديثة على الرغم من كونها جزئية ومحدودة من استخلاص بعض المؤشرات بشأن هذه الفئة من الأطفال، ففي نظر العديد من الباحثين المغاربة أن أسباب هذه الظاهرة هيكلية باعتبارها قضية ناتجة عن العديد من المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع المغربي وخاصة ما يتعلق بالفقر والأمية ومشكلات السكن، البطالة، الهجرة من البادية إلى المدينة، فضلا على العديد من المشكلات الأخرى ذات الارتباط المباشر بالظاهرة كارتفاع معدلات التفكك الأسري والفشل الدراسي، وسوء معاملة الطفل بدنيا ونفسيا، والدفع به إلى ميدان العمل في سن مبكرة للمساهمة في تحمل نفقات الأسرة...ألخ.

لذلك، فإن علوم التربية مدعوة اليوم للتفكير في كل هذا وللتفكير خاصة في واقع الطفولة ومستقبلها على ضوء التعارض الكبير بين مدونة قانونية ما فتئت تتضخم حول حقوق الطفل ولاسيما حقه في الإعلام وفي التعليم وفي الرعاية واللهو وبين واقع لا يخفي قساوته على هذه الفئة الاجتماعية-العمرية: عدم التحاق بالمدرسة أو انقطاع مبكر عنها، عمالة الأطفال، استعمالهم أثناء النزاعات، تهجيرهم، استغلالهم جنسيا، إلخ. ولعل هذا التعارض يخفي وراءه مأساة أخرى: التفاوت الموجود بين أطفال الشمال وأطفال الجنوب في المستوى المعيشي وفرص التعلم وفي القدرة على التمتع بمختلف الحقوق.

أي رهانات سلطوية وسياسية إذن يخفيها الاهتمام المتزايد معرفيا واجتماعيا بالطفولة؟ أي مستقبل للطفل في مجتمعات الاستهلاك؟ تعكس هذه الأسئلة رهانات حاضرة ومستقبلية لعلوم التربية، وهي لا فقط تؤكد مشروعة هذه العلوم والحاجة إليها ولكن أيضا أن الطفل مازال، رغم تطور معرفتنا به، مسألة تحتاج إلى مزيد من التفكير.

إن ثروة الشعوب لا تقاس بما تحويه تربتها من كنوز طبيعية، بل بمدى صقلها لمواهب أطفالها وشبابها، ومساعدتهم على التوافق الصحيح كي ينشئوا نشأة صالحة ويسهموا في التقدم وإنشاء حضارة. ولا يتيسر الإنتاج إلا إذا ربي الأطفال والشباب تربية قوامها الفهم الصحيح والأمن النفسي والحرية والتفكير المتفتح المرن. وهذا لا يتأتى إلا في تطبيق القاعدة الذهبية التالية:

توجيه من غير عنف؛

وإرشاد من غير نهي؛

وتشجيع من غير لوم.

لذا يمكن أن نقول مع أحد الفلاسفة الصينيين، في القرن الثالث قبل الميلاد: " إذا وضعتم مشاريع سنوية، فازرعوا القمح. وإذا كانت مشاريعكم لعقد من الزمن، فاغرسوا الأشجار. أما إذا كانت مشاريعكم للحياة بكاملها، فما عليكم إلا أن تنشئوا وتعلموا الإنسان ".

لائحة المراجع

- أحمد أوزي. (1988). الطفل والمجتمع دراسة نفسية اجتماعية لصور الطفل المغربي من خلال الرواية . الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.
- أسماء رتيمي . (2010). اثر الوسط الأسري على السلوك العدواني للحدث الجانح. الجزائر: قسم علم الاجتماع جامعة الجزائر.
- إقبال إبراهيم مخلوف. (2000). الرعاية الطلبة والصحية ورعاية المعوقين. الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، الأزراطية.
- جون ديوي. (1978). الديمقراطية والتربية . القاهرة: مكتب أنجلو المصرية.
- رمزي، وآخرون. (2010). استغلال الأطفال في العمل في إطار الاتجار بالبشر. القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
- عائشة التاج. (2002). الأطفال المتخلى عنهم أية رعاية اجتماعية، . منشورات الشعلة.
- عبد الرحمن عيسوي. (1985). سيكولوجية النمو دراسة في نمو الطفل والمراهق. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عبد الله ضيف. (2010). من الكفايات إلى الإدماج دراسة تحليلية لمناهج التعليم وطرق التدريس. وجدة.
- محمد الدريج. (1998). الأطفال في وضعية صعبة. الرباط: منشورات رمسيس.
- محمد السيد فهمي. (2008). أطفال في ظروف صعبة. الاسكندرية: المعهد العالي للخدمة الاجتماعية.
- محمد سبيلا. (2001). في تحولات المجتمع المغربي. الرباط: دار توبقال للنشر.
- محمد مصطفى القباج. (1997). الطفل المغربي وأساليب التنشئة الاجتماعية بين الحداثة والتقليد. الرباط: منشورات رمسيس.
- محمد مومن. (2010). ظاهرة أطفال الشوارع بالمغرب دراسة ميدانية. الرباط: طوب بريس.
- مسعود كسال. (1986). مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري. الجزائر: ديوان المطبوعات الجزائرية.
- مصطفى محسن. (1993). المعرفة والمؤسسة مساهمة في التحليل السوسيولوجي للخطاب الفلسفي المدرسي بالمغرب. بيروت: دار الطليعة بيروت.
- وزارة العدل. (2024). قانون المسطرة الجنائية المغربية المادة 513. الرباط.
- منظمة الأمم التحدة للتربية والعلم والثقافة. (2013). الادماج الاجتماعي والديمقراطية والشباب في الوطن العربي. مكتب بيروت: اليومسكو.
- (2024).
- حكيمة آيت حمودة. (2015). دراسة تحليلية لبعض الخصائص النفسية والاجتماعية والتربوية لأطفال الشوارع. الجزائر: قسم علم النفس وعلوم التربية جامع الجزائر.
- حمدان. م .(31 10 ,2024) .الصحة النفسية لدى أطفال الشوارع: دراسة ميدانية . مجلة علوم الانسان والمجتمع. 556 .p ,
- belarbi, a. (1990). Enfance au quotidien, en fennec. casablanca.
- BOURDIEAU, P. (1980). LA jeunesse n'est qu'un mot, in question de sociologie. Paris.
- CHERRADI, F., & KEBBAJ, M. (1981). UN bouquet de proverbes marocains. casablanca: idéale.
- Makofane, D. (2014). a conceptual analysis of the label street children. the journal of social science. (50).
- Robert, l. (1977). Dictionnaire de la langue francaise.
- TATIN, J. (1983). Proverbes et voix du peuple. R.S.H.T. LXI. 190.